الميراث الديمغرافي العربي للحضارة العربية الإسلامية

د. عبد الكريم اليافي

توطئة

يتناول هذا البحث ديمغرافية الوطن العربي أي سكانه من الوجهة الكمية والاحصائية في الوقت الحاضر • ولفظ الديمغرافية بتخفيف الياء لفظ أجنبي معرّب حديثاً يتالف من أصلين يونانيين معناهما وصف الشعب أو وصف السكان • وقد راج للدلالة على علم يتناول المجتمعات البشرية من حيث حجومها وتركيب كل منها وخصائصه ولا سيما من النواحي الكمية • وهو أحد العلوم الاجتماعية الحديثة • ويقال له أيضاً علم السكان • ونحن نستعمل اللفظين العربي والأجنبي المعرّب وننسب اليهما فنقول سكاني • والنسبة الى الجمع واردة في اللغة العربية ، كما نقول ديمغرافي • هذا ولكل علم مصطلحاته وتصوراته ودلالاته المحددة • ونظراً لذلك وتحرياً للدقة نتطرق الى شرح بعض المصطلحات فيه لبيان ما يراد منها عند ورودها في هذا البحث • ولا يخلو هذا التطرق من فائدة • وانما نريد أن نحدد واقع الميراث الديمغرافي العربي المتطور ونجلو في الوقت نفسه معالم المجتمع العربي البشرية ، ونشير الى ملامح المشكلات المعترضة ، ونحقق في بعض الشؤون العلمية والاصطلاحية •

تستند الدراسات السكانية الى ثلاثة مصادر مهمة : وهي أولا « التعداد » الذي يتناول جميع السكان في بلد من البلدان وفي وقت واحد ويقال له « تعداد عام » • ولكن قد يجري تعداد صنف من السكان لغرض من الأغراض أو تعداد في جزء من البلاد فيقال له « تعداد جزئي » • ولا يقتصر التعداد على مجرد العد واعطاء رقم المجموع بل يتبين توزع الناس في المناطق ويستعلم بعضاً من صفاتهم وخصائصهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والصحية وغيرها •

فالاطلاع على ذلك كله بالاحصاء في زمن من الأزمان هو الاطـلاع على ما يسمى في الديمغرافية « حالة السكان » ٠ حالة السكان هذه اذن كانها صورة ضوئية لهم ماخـوذة من الوجهة الاحصائية في وقت من الأوقات ٠

وللتعداد طرق وشروط وأنواع معروفة ومتداولة في كتب الاحصاء ٠ ولكن الشعب ليس ثابتاً بل هو متغير ودائم التغير وذلك بالولادات والوفيات والتقدم في العمر وبتغـير الحال المدنية بالزواج والطلاق والترمل ، ثم كذلك بالهجرة الى البلد وبالهجرة منـه ٠ ومجموع هذه التغيرات يدعى « حركة السكان العامة » ٠

فاذا كانت حالة السكان تشف عن الجانب السكوني منهم فان حركتهم بهذا المعنى الديمغرافي الذي حددناه تشف عن جانبهم المتطور أي الدينامي ٠

والتغير العددي الحاصل بالولادات والوفيات فقط بصرف النظر عن الهجرة يدعى « حركة السكان الطبيعية » ولما كانت المواليد تربو على الوفيات غالباً في المجتمعات قيل لهذه الحركة « نمو السكان الطبيعي » أي زيادتهم الطبيعية ٠

وباعتبار حـركة الهجرة يدعى الشعب مغلقاً اذا كـان لا يتلقى هجرة من خارجـه ولا تصدر عنه هجرة الى الخارج ، ومفتوحاً اذا كان تتناوله الهجرة منه واليه ٠

واذا أضيفت حركة الهجرة الى حركة السكان الطبيعية قيـل كما سلف للمجمـوع « حركة السكان العامة ٠

وتتم معرفـة حركـة السـكان بضبط الأحوال المدنية أو الاحصاء الحيوي(١) وبمطالعة هذا الاحصاء في سجلات دوائر النفوس أو مكاتب الصحة حسب التسمية الرائجة في البلـد العربي ٠ والاحصاء الحيوي أو ضبط الأحوال المدنية هو المصدر الثاني الذي يستند اليه علم السـكان ٠

كانت الدولة في الزمن السابق تتالف من فئات وهيئات اجتماعية كالأسـر والطوائف والنقابات مرتبة على شكل هرم تقوم في رأسه الدولة ٠ وكل اتصال للدولة بالأفراد كان يتم بطريق تلك الهيئات والفئات فاذا رغبت الدولة مثلا في فرض ضرائب مالية أو توزيع مكافات عامة عمدت الى تلك الجماعات وهذه هي التي توزع تلك المكافات على أفرادها أو تتطلب مقادير الضرائب المالية منهم ٠ وكذلك اذا اضطـرت الدولة قديماً الى التعبئـة العسكريـة كانت تقتضي ملاكي الأراضي والطوائف والأسر نصيباً مفروضاً من الجند ٠

ثم لما توطد الاحصاء الحيوي وتم ضبط الأحوال المدنية وتواتر التعداد في الدولة كل عشر سنوات أو قريباً من ذلك وألفـه الناس ازداد اشراف الدولة المباشر على الأفـراد ٠ وهكذا اقترن تقدم الاحصاء الديمغرافي بتقـدم أهميـة الفـرد ومكانتـه في التنظيـم الاجتماعي عامـة ٠

والدولة الحديثة في العصر الحاضر على الرغم من أهمية النقابات والشركات وغيرها من المؤسسات والهيئات تقيم للفرد وزنه وتعلي شانه وتستطيع الاتصال به فـوراً اذا

اقتضت الحال • ولهذا أيضاً مع نشوء التعداد ازدادت المعلومات التي تتطلبها الحكومة الحديثة عن الأفراد لأنها مسؤولة عنهم ، تهتم بجميع شؤونهم الديمغرافية والثقافية والاقتصادية والسياسية والصحية وغيرها •

وبالجملة فان التعداد ضروري لحسن ادارة الدولة وتصريف أمورها وتوجيه شؤونها توجيهاً صحيحاً في مختلف الميادين وذلك بمعرفة عدد السكان أي حجمهم ومعرفة أعمارهم وجملة من صفاتهم الثقافية والاقتصادية والصحية وأمثالها •

وكذلك ضبط الأحوال المدنية وتسجيل المواليد والوفيات والزواج وهلم جرا كل ذلك ضروري لتتبع حركة الشعب هل هو في زيادة أو نقصان أو ثبوت ، ولمحاولة تلافي الأمراض وتحسين صحة الأفراد ورعاية نموهم الفكري والجسمي وحساب أفواجهم وفئات أعمارهم • وذلك كله يدخل في سياسة الدولة الديمغرافية •

وثمة مصدر ثالث يستند اليه علم السكان وهو ما يدعى بالمسح أو الاستعلام وهو يتطلب معلومات في موضوع خاص وله غرض ، كالاستعلامات عن الولادات والوفيات في أي حدود هي وعن العمال مثلا كم عددهم بين السكان أو عن الأمية الى أي مدى هي متفشية مثلا • ولا بد في الاستعلام هذا من اعتماد جزء من السكان يستطيع أن يمثلهم جميعاً تمثيلا يحدده حساب الاحتمال • وهذاالجزء يدعى بالعيّنة • والمسح بالعينة يدعى اعتياناً ويُلجأ اليه عند الحاجة • بالتعداد الذي يبرز حالة السكان وبالاحصاء الحيوي الذي يتتبع حركتهم وبالمسح الذي يستعلم بعض خصائصهم وصفاتهم تتيسر معرفة السكان وجملة قضاياهم وشؤونهم • وفي طليعة هذه المعرفة تقدير عددهم وحساب كثافتهم •

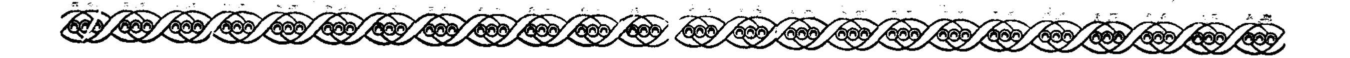
* * *

سكّان العالم

من المفيد بادىء ذي بدء معرفة حجم سكان العالم اذا أردنا أن ندرس حجم سكان الوطن العربي لكي ندرك نسبتهم في المجموع ونقدر مكانتهم بينهم ونستشف الشأو المتاح لهم أن يبلغوه في المستقبل •

ذلك أن الانسانية على وجه الأرض كالكائن الحي تتطور وتنمو وتتسع • وهي في هذا الاتساع والنمو والتطور تجري في أوصالها وشائج الحياة المشتركة خفية وظاهرة •

ان التضامن بين شعوب النوع الانساني كان ولا يزال دائماً أعمق مما يظن وأشد مما يقدر ، على الرغم من الحروب الفتاكة ، وعلى الرغم من عدوان الانسان في بعض الأحيان على أخيه الانسان •



ولقد ذهب فريق من الفلاسفة القدماء أمثال الرواقيين وهم طائفة من فلاسفة اليونان الى أن الكون عبارة عن حيوان كبير أي جسم حي ضخم بالغ الضخامة ، وذهب مفكرون آخرون أمثال اخوان الصفا في الحضارة العربية الاسلامية الى أنه انسان كبير اشارة منهم جميعاً الى سر الحياة المبثوثة في جوانب العالم كله · ونحن هنا بعيدون من أن نذهب هذا المذهب الميتافيزيائي الصرف · وانما نكتفي فننوّه بالأواصر التي تربط بين الناس على المعمورة ، وباستفادة بعضهم من تجارب الآخرين في مختلف الميادين مادية وروحية ، واقتباسهم شعلة التراث الانساني جيلا عن جيل وحمل بعض الأمم نبراسها بعد بعض ، وزيادة ايقاد تلك الشعلة لتبديد الجهل والظلام ، وتقليل البؤس والشقاء ، وللتحرير من الافتئات والاستغلال ولتوطيد أركان السلام ،واسباغ التعاون والوئام ، والسعي للوصول الى حياة كريمة واسعة فاضلة ·

ولم يكن الناس أشد شعوراً بالأواصر التي تصل بينهم وتجمع بين قلوبهم وأمانيهم منهم في هذا العصر الحديث على الرغم من التشادّ الظاهر والتنازع الكامن · فلقد ازداد عددهم ازدياداً كبيراً ، وتقدموا في ميادين العلم والصناعة ، وتفننوا في الوسائل الداعية الى التعارف، فانتشرت الصحف والمجلات التي تحمل أخبار المجتمعات انتشاراً واسعاً ، وشاعت الاذاعات التي تبث أمواجها فتبلغ كل مكان على المعمورة ووصل الهاتف السلكي واللاسلكي بين الأقطار المتنائية وصله بين الأقطار الدانية · ثم ان القاطرات والسيارات والسفن وعابرات المحيط والطائرات المروحية والنفاثة قربت بين جوانب الأرض ، ويسّرت الرحلات والأسفار واختصرت الأزمنة والمسافات · ولا ينفك العلم والتقانة يتقدمان تقدماً مطرداً ومستمراً · ورافق ذلك كله أن اشتد الاهتمام بالأمور الاقتصادية في العصر الحاضر فعمدت الدول الى زيادة الانتاج وتحسينه والى تبادل السلع والغلات والى البحث عن الأسواق استيراداً وتصديراً ·وكذلك اشتد التسابق في مضمار الثقافة والابتكار والتفنن كما اشتد الانتباه للأحداث السياسية في مختلف البلدان ، اذ أصبح الحدث السياسي في قطر لا يعدم له صدى وأثراً في بقية الأقطار وسائر الشعوب ·



وكما أن ارتباط الأمور الثقافية والاقتصادية والصناعية والصحية بعضها ببعض واضح لا ريب فيه في القطر الواحدكذلك بدأ يتضح في العصر الحاضر ارتباط هذه الأمور في القطر بأمثالها في القطر الآخر وفي البلد القريب والبعيد للسهولة المبدئية في التنقل والسفر والاطلاع والنشر والاذاعة والتلفزيون • حتى ان اقامة بعض البلدان حوائل في هذه السبل تشير الى هذا الارتباط حين تحاول تحامي التأثر بما يجري في البلد الاخر على ميدان الثقافة او السياسة أو الدعاية أو التجارة أو غيرها .

ولا بد في هذه الدراسة السكانية من ايراد الأرقام المناسبة لأنها مستند للفكر ومعتمد للمقايسة والموازنة وسبيل للتدقيق وأداة للتنبه الى بعض الجوانب الاجتماعية وان كانت الأرقام أنفسها رهينة التغير مع أحوال المجتمعات وصروفها • ولذلك يلزم في الحين بعد الحين مراجعتها وتجديدها •

ولا يستطيع ايراد الأرقام في ذاته أن يشف عن سريان الحياة الاجتماعية والفكرية المشتركة في الشعب الواحد ولا عن سريانها بين الشعوب والأمم • وانما قصاراه أن يبرز مدى اتساع الأطر الديمغرافية التي يؤلفونها والتي تجري فيها الظواهر الانسانية •

ونذكر فيما يأتي عدد سكان العالم كله وكذلك سكان القارات وسكان الوطن العربي جملة في الوقت الحاضر ، كما نذكر المساحات التي يعمرونها وكثافاتهم وتقديراتهم حتى عام ٢٠٠٠ •

وكما أنه حين نجري قياساً في العلم يلزم أن نذكر مدى ضبطه ودقته كذلك من المناسب أن نشير الى أن تلك الأرقام المذكورة تقريبية ، وليست دقيقة كل الدقة ولا مضبوطة تمام الضبط • فليست إحصاءات السكان في مختلف بلدان العالم على درجة واحدة من الجودة والتدقيق • ونحن حين نجمع أرقام تلك الاحصاءات لا نجمع أرقاماً متماثلة في درجة الدقة • ثم ان أصول التعداد التي استند اليها تقدير السكان تتفاوت بتفاوت البلدان • وكذلك ضبط الاحصاء الحيوي أو التسجيل المدني الذي يعوّل عليه الحاسبون ليس واحداً • وليس أعداد السكان وخصائصهم ثابتة بل هي رهن التغير والتبدل بالمواليد والوفيات والهجرة كما



سلف • وهي حركات دائبة مستمرة • فالأرقام التي تقدم في تقدير سكـان العالم وكثافة الأرض وسكان القارات وكثافاتها ينبغي أن تعتبر دائماً أرقاماً تقريبية • ولا يستطيع أحد أن يقول لنا مثلا ان عددسكان الأرض أو سكان قطر من الأقطار هل هو في وقت ما زوج أم فرد لأن كلتـا الحالين محتملـة بسبب التغير الـدائب والتـجَـدّد الدائم •

وليس التقريب بقادح في قيم تلـك الأرقام ولا في جدواها • بل على العكس إن جميع تلك الأرقـام ومعالجتهـا على قواعد علمية ركينة ورصينة وتـفَـهّم نتائج المعـالجـة وتـبَـيّـن دلالاتهـا تشف عـن جهود كبيرة بذلتها هيئات محلية وإقليمية وعالمية ، وتشير الى تقدم علمي بالغ يتناول هذه المقادير المشتتة الضخمة الواسعة ويستطيع أن يستوعبها وأن يتعرف خصائصها في تطورها وأن يتوقع ما تصير اليه وأن يضبط هذه الصيرورة وأن يوجههـا حيث تعم الجدوى ويتسع النفع وتتيسر المصلحـة ويبلـغ النمو شـأوه وغايته • وانما قدمنا هذه المقدمة مع هذا الجدول العالمي تمهيداً لدراسة سكان الوطن العربي الذي هو موضوع هذا البحث •

تقدير سكان العالم والقارات والوطن العربي

	عدد السكان بالألوف في السنوات			المساحة بألوف	الكثافة
	١٩٨٨	١٩٩٠	٢٠٠٠	الكيلومترات المربعة	١٩٨٨
العالم	٥ ١١٢ ٢٩٨	٥ ٢٤٦ ٢٠٩	٦ ١٢١ ٨١٣	١٣٥ ٧٤٧	٣٨
آسيا	٢٩٩٥ ٨١٢	٣ ٥٧ ٦٤٩	٣٥ ٤٨ ٩٩٤	٢٧ ٥٧٢	١٠٩
إفريقية	٦٠٩ ٧١٨	٦٤٥ ٢٨٢	٨٧١ ٨١٧	٣٠ ٣١٣	٢٠
أقيانوسية	٢٥ ٧٤٢	٢٦ ٤٦٧	٠٣٠ ٠٦٢	٨ ٥٠٩	٣
أمريكة	٧٠١ ٧١٢	٧٢٦ ٣٩٧	٨٤٣ ٧٣٠	٤٢ ٠٧٨	١٧
أوربة مع الاتحادالسوفيتي	٧٧٩ ٣١٤	٧٩٠ ٤١٤	٨٢٧ ٢١٠	٢٧ ٦٧٦	٢٩
الوطن العربي	٢١٣ ٩٩١	٢١٧ ١٠٨	٢٨١ ٤٠٦	١٣ ٧٠٨	١٦

أعد هذا الجدول، بالاعتماد على الحوليتين 1988 World Health Satistics Annual (WHO)
1988 Statistical Yearbook (Unesco)



سكان الوطن العربي

تزيد مساحة الوطن العربي على ١٣ر٧ مليون كيلو متر مربع ويقارب عدد سكانه ٢١٨ مليون نسمة ، فهو أوسع بلادالعالم التي تسكنها أمة واحدة اذ تربو مساحته على عُشر مساحة المعمورة(٢) •ويزيد مرتين ونصف المرة على مساحة أوربة(٣) ومرةً وثُلُثَ المرة على بلاد الصين ، ويكاد يعادل مرة ونصف المرة

مساحة الولايات المتحدة الأمريكية • أما سكانه فيؤلفون $\frac{١}{٢٥}$ من سكان المعمورة •

وهو يقع في أهم مناطق الأرض اذ يصل بين قارات ثلاث • وهو يشغل شمالي افريقية وغربي آسيا • ويقع ثلثاه تقريباً في القارة الأولى وباقيه في الثانية • وهو يترامى من المحيط الأطلسي الى الخليج العربي وبحر عُمان والمحيط الهندي مستحماً على الشاطئين الشرقي في جهةوالجنوبي المتطاول من البحر الأبيض المتوسط في جهة ثانية ومستوعباً البحرالأحمر • وهو يشرف على منطقة اتصال المحيط الأطلسي بالبحر الأبيض المتوسط في مضيق جبل طارق ، وعلى منطقة اتصال البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر في قناة السويس ، وعلى منطقة اتصال البحر الأحمر ومن ورائه البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي بالمحيط الهندي في مضيق باب المندب • ففي يَدَيِ الوطن العربي مفاتيح هذه البحار كلها. كما أنه واجهة آسيا وافريقية تجاه الغرب والشمال وجسر الاتصال الكبير بين القارات •

وهو واقع في أجود بقاع الأرض اعتدالاً وأكثرها جمالاً وأسناها ضياءً وكذلك هو غني الى أبعد حدّ بالممتلكات الاقتصادية والانسانية والسياسية على اختلاف أنواعها •

هذا وان الثقافة العربية الاسلامية هي المالئة لأرجاء هذا الوطن الواسع • على أنه اذا كان يسكن فيه بعض الجاليات الأجنبية القليلة فان مئات الألوف بل



الملايين من العرب يقيمون متفرقين أو جاليات في مواطن أخرى ولا سيما في أواسط افريقية وجنوبيها وفي أواسط آسيا حتى أقاصيها وفي أمريكة ولا سيما الجنوبية • وهم على الغالب ينزعون بأفئدتهم وأفكارهم وذكرياتهم وأصولهم الى موطنهم الأول •

والعالم العربي يسلك سبيل توطيد السلام في الأرض ويعمل على توكيد الصداقة مع سائر الشعوب وهو اذا تقدم وقوي يستطيع أن يغدو واحة سلام وخير وبركة بين أنحاء العالم وملتقى حضارات تتفاعل لخير الانسانية ومنطقة تبادل للقيم المادية والروحية في العالم ووسيلة تفاهم وتضافر بين الشعوب (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وليكون الرسول شهيداً عليكم) (٢ــ١٤٣).

ولذلك كله لا نغالي اذا قلنا ان مستقبل الانسانية كلها من بعض الوجوه مرتبط بتقدم البلاد العربية ورهين" بِمَنَعَتِها وسلامتها حتى تكون كحصن السلام الآمن في خضم المستقبل المبهم الغامض • وفي هذا اطمئنان لجميع الشعوب ، وفي هذا من الشأو ما ينبغي أن تسعى له البلاد العربية بعد أن تتخلص من آثار الاستعمار وبعد أن تشتد وتستوثق عُرا التعاون والتضامن بينها •

وكذلك ندرك عاجلاً أو آجلاً بطلان المحاولات غير الانسانية التي تقصد الى تفريق شمل البلاد العربية والكيد لها وطعن أوصالها برؤوس الحروب واقامة حوائل اقتصادية وفكرية دون تسهيل التقاء الشعب العربي بعضه ببعض. وهذا جدول بالدول العربية التي تتألف منها الجامعة العربية مع عدد سكان كل منها ومساحته والنسبة المئوية للسكان وللمساحة في المجموع •

★ ★ ★



الدولة	المساحة بالكم٢	النسبة ٪	عدد السكان بالألوف	النسبة ٪	الكثافة
المملكة الأردنية الهاشمية	٩٧ ٧٤٠	٧ر٠	٣ ٩٤٣	٨ر١	٤٠
دولة الإمارات العربية المتحدة	٨٣ ٦٠٠	٦ر٠	١ ٥٠١	٧ر٠	١٨
دولة البحرين	٦٢٢	٠٥ر٠	٤٨١	٢ر٠	٧٧٣
الجمهورية التونسية	١٦٣٦١٠	٢ر١	٧٨٠٩	٦ر٣	٤٨
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية	٢٣٨١٧٤١	٤ر١٧	٢٣ ٨٤١	١١	١٠
جمهورية جيبوتي	٢٢ ٠٠٠	٢ر٠	٣٨٣	١٨ر٠	١٧
المملكة العربية السعودية	٢١٤٩٦٩٠	٧ر١٥	١٣٠٧٠	٦	٦
جمهورية السودان الديمقراطية	٢٥٠٥٨١٣	٣ر١٨	٢٣ ٧٩٧	١١	٩
الجمهورية العربية السورية	١٨٥١٨٠	٤ر١	١١٦٣٨	٤ر٥	٨ر٦٢
جمهورية الصومال الديمقراطية	٦٣٧٦٥٧	٧ر٤	٧١٠٦	٣ر٣	١١
الجمهورية العراقية	٤٣٤ ٩٢٤	٢ر٣	١٧٦٥٦	٨	٦ر٤٠
سلطنة عمان	٢١٢٤٦٠	٥ر١	١ ٣٧٧	٦ر٠	٥ر٦
فلسطين	٢٧٠٠٩	٢ر٠	٤٩٠٠		
دولة قطر	١١٦١٠	١ر٠	٣٤٠	٢ر٠	٢٩
دولة الكويت	١٧٨١٨	١ر٠	١٩٣٨	٩ر٠	١٠٩
الجمهورية اللبنانية	١٠٤٠٠	١ر٠	٢٨٢٧	٣ر١	٢٧٢
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية	١٧٥٩٥٤٠	٨ر١٢	٤٢٣٢	٩ر١	٢
جمهورية مصر العربية	١٠٠١٤٤٩	٣ر٧	٥١٤٥٣	٢٤	٥١
المملكة المغربية	٤٤٦٥٥٠	٢ر٣	٢٣٩١٠	١١	٥ر٥٣
الجمهورية الإسلامية الموريتانية	١٠٣٠٧٠٠	٥ر٧	١٩١٦	٩ر٠	٩ر١
الجمهورية العربية اليمنية	١٩٥٠٠٠	٤ر١	٧٥٣٤	٥ر٣	٦ر٣٨
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية	٣٣٢٩٧٠٠	٤ر٢	٢٣٣٩	١ر١	٧
المجموع	١٣٧٠٨٠٨٣		٢١٣٩٩١		

عدد السكان من 1988 World Health Statistics Annual

والمساحات من الكتاب الإحصائي السنوي للبلاد العربية (العدد السادس) مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الأمانة العامة) (١٩٨٤).



نزيد على الجدول الصحراء الغربية في افريقية ، ثم الثغور السورية الشمالية التي اقتطعتها تركيا من سورية في أعقاب الحرب العالمية الأولى وكذلك لواء اسكندرونة الذي سلخته فرنسة المنتدبة وأعطته تركيا سنة ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩ ·

ويمكن تصنيف البلاد العربية حسب حجوم السكان في ست زمر · وهي بالترتيب المتصاعد ·

أقل من مليون	**قطر ــ جيبوتي ــ البحرين**
١ ــ ٥ ملايين	**عمان ــ الأمارات ــ موريتانيا ــ الكويت ــ اليمن الديمقراطية ــ لبنان ــ الأردن ــ ليبيا**
٥ ــ ١٠ ملايين	**الصومال ــ اليمن العربية ــ تونس**
١٠ ــ ٢٠ مليوناً	**سورية ــ السعودية ــ العراق**
٢٠ ــ ٢٥ مليوناً	**السودان ــ الجزائر ــ المغرب**
فوق خمسين مليوناً	**مصر**

هذا والذي يبتدر الملاحظة الديمغرافية في مجموع العالم العربي قلة السكان فيه بالنظر لاتساع المساحة اذ تنقص الكثافة الحسابية الوسطية فيه عن ١٦ نسمة في الكيلو متر المربع منه وهي ضئيلة جداً وأقل من كثافة الأرض كلها وهي تبلغ ٣٨ · والعالم العربي اذا تقدمت الأمور الصحية والاقتصادية والعلمية فيه يستطيع أن يحمل مائتي مليون نسمة زيادة على عدد سكانه الحاليين ·

ان زيادة السكان ضرورة ملحة في الوطن العربي · فكل زيادة للناس في ربوعه من شأنها أن تزيد في عمرانه وفي ممكناته الاقتصادية وفي الدخل الفردي لأغلبية أقطاره · نعم ! ان هنالك قسماً كبيراً من الصحارى والأراضي المجدبة تقع في أجوازه ، كما أن هنالك بعض الأقطار فيه تكاد تكون غاصة بالسكان كمصر ولبنان · ولكن ثمة أراضي كثيرة في أجزاء البلاد العربية أيضاً ما زالت غير مستثمرة ، وهي تستدعي أيدياً عاملة ، وجهوداً بشرية قوية ، وتقنيات متقدمة ، واستصلاحاً ناجعاً ·



ومن المعلوم أن قيام المشروعات الصناعية الكبيرة متصل ببلوغ كثافة السكان حداً مناسباً . وبهذا الاعتبار تكون زيادة السكان في الوطن العربي وسيلة من وسائل تقدمه الاقتصادي كما تكون وسيلة لعمرانه ولتقدم المواصلات فيه ولجعل الكثافة السكانية تستطيع رد العدوان عليه ان وقع وتهيئة مقاومة سريعة ، أو لجعلها تقوى على اقامة مشاريع اقتصادية وعلمية وعمرانية مفيدة . ان زيادة السكان في أجزاء الوطن العربي بما تستلزم من عمران وتسهيل مواصلات وتقدم اقتصادي ونشاط فكري وتعاون اجتماعي معناها تنشيط الدم الجاري في أوصاله وزيادة القوة وبث الحياة المتوثبة فيه . ان الانسان في الوطن العربي هو أساس تقدمه وحصن منعته وسر نمائه ونشاطه .

بيد أن التنويه بمكانة زيادة السكان تثير في الديمغرافية وفي الجغرافية البشرية قضية الحد الموافق من السكان . ولا بد من الالمام بها وجلاء غامضها وشرح عناصرها .

قضية الحد من الموافق وكثافات السكان

لا شك أن أبسط معيار يُستند اليه في الحكم على زيادة السكان أو قلتهم يكون بتأمل كثافتهم الحسابية وهي خارج قسمة عدد السكان على مساحة الأرض التي يعيشون عليها ، أي عدد السكان في وحدة المساحة المعتمدة . ويجوز أيضاً العكس وهو حساب خارج المساحة على عدد السكان أي ما ينوب الشخص الواحد من مساحة الأرض التي يشغلونها . ولكن قسمة السكان على المساحة أكثر استعمالا وتداولا .

ان كثافة الوطن العربي نحو ١٦ في الكيلو متر المربع كما سلف . ولكن أجزاء هذا العالم تختلف في درجة الكثافة . وقد سردنا في جدول سكان الدول العربية كثافات تلك الأجزاء . ولا شك أن الاغتصاص البارز انما هو في وادي النيل حيث تتجاوز كثافة السكان الذين يعيشون على الأرض المزروعة المأهولة فيه ١٢٠٠ نسمة في الكم٢ وهي من أعلى الكثافات . ويزيد عبء هذا الاغتصاص أن السكان يعيشون في الغالب على الزراعة . بيد أن مستوى الحياة قد تحسن جداً بعد التخلص من الاستعمار وبعد اقامة دعائم الصناعة .



ان اختلاف الكثافة متعلق بعوامل متعددة . ولا شك أن نظام الاقتصاد المستند الى الصناعة يزيد في طاقة استيعاب الأرض للسكان . وهذا ما هو حاصل في أوربة والبلاد الصناعية عامة . وكذلك نظام الاقتصاد الزراعي الذي يعتمد أصحابه في غذائهم على البقول والحبوب لا على اللحوم . وهذا ما هو حاصل في الهند وشبه جزيرة الهند الصينية والصين . ولكن هذا النظام الزراعي اذا ساعد على زيادة السكان لا يدر بالغنى والثراء عليهم وانما يجعل مستوى معيشتهم منخفضاً . الا أن الصين بعد جمع شمل أجزائها واستتباب نظامها الحديث جعلت تعتمد على اقامة أركان الصناعة الحديثة . كذلك يتعلق اختلاف الكثافة بقضايا تاريخية كالحروب وهجرة بعض الأقوام من بعض المناطق الى مناطق أخرى وغيرها .

وقد يتعلق اختلاف الكثافة بعوامل جغرافية كنوع التضاريس ودرجة خصب الأرض ووفرة المياه ومجاري الأنهار وغزارة الأمطار . وتأثير مثل هذه العوامل الجغرافية واضح في البلاد العربية حيث لم تتم سيطرة الانسان على الطبيعة . ولقد سلفت الاشارة الى ارتفاع الكثافة في وادي النيل الخصب ومن المعلوم أن الزراعة في هذا الوادي تعتمد على مياه النيل لا على الأمطار ، حتى انه قيل في مصر انها هبة النيل . واذا نظرنا الى سورية مثلا وجدنا محافظة اللاذقية وهي على الساحل شديدة الاستيعاب نسبياً للسكان ومساحتها تؤلف ٥ر٢ بالمائة من مساحة القطر وهي من أغزر المحافظات السورية أمطاراً زيادة على صفتها الساحلية . وعدد سكان محافظة اللاذقية يكاد يعادل مجموع سكان محافظة دير الزور ومحافظة الحسكة مع أن مساحتيهما معاً تؤلفان ٣ر٣٠ من مساحة البلاد .

على أن منطقة الجزيرة في شمال شرقي سورية قليلة السكان جداً مع أنها أخصب الأراضي . وهذا يدعو الى النظر في العوامل التاريخية والملمات التي أصابت البلاد وجعلت بعضها غامراً بعد أن كان في الماضي عامراً .

والأمر كذلك في المغرب العربي في يومنا هذا . أليس يتلقى أنفاس الصحراء الكبرى الحارة ؟! ولذلك لا غَروَ اذا وجدنا السكان يتجمعون فيه حول مناطق المياه . ولو نظرنا الى الجمهورية التونسية لوجدنا الكثافة في الشمال أعلى بكثير منها



في الجنوب . والشمال أغزر مطراً من الجنوب . ومن الخطأ أيضاً أن نقتصر في المغرب على العوامل الجغرافية الطبيعية وحدها . بل ينبغي الرجوع الى التاريخ والى تغير طبيعة الأراضي وسبل المواصلات التي تربط أنحاء البلاد بعضها ببعض والى تبدل ذلك وفق الأحوال السياسية والسيادة أو التبعية . كان أكثر سبل المواصلات في الجزائر وفي المغرب موازياً لساحل البحر الأبيض المتوسط اذ كانت تصل البلاد العربية بعضها ببعض ، ثم خربها الاستعمار وأنشأ سبلاً عمودية على الساحل ليسهل له الوصول الى أعماق البلاد ، كما استولى على أخصب الأراضي واستغلها اذ ذاك لصالحه .

بيد أن الأنهار ومياه الأمطار الغزيرة قد ينوب عنها في رفاهية السكان واجتذابهم آبار النفط . بل إن آبار النفط هذه أجدى عائدة وأوفر اقتصاداً وأشد ثراءً من مياه الأمطار ومن الأنهار لو لم تكن مدخراتها محدودة . وهي قديرة بعوائدها الجمة على تحلية مياه البحر واستصلاح الأراضي واحالة الرمال حدائق جميلة وعلى رفع مستوى معيشة السكان وعلى اجتذاب العمال والتجار وغيرهم من كل صقع . هذا ولا يخفى هجرة التجار والعمال والمهندسين وأمثالهم في البلاد العربية وغيرها الى المملكة السعودية والى الكويت والى دولة الامارات والى ليبيا . ومثل تلك الآبار المتفجرة أحياناً في الصحارى تجعل الحاجة ماسة الى الأيدي العاملة والى العمران واتساع البنيان .

لهذا كله كانت الكثافة الحسابية غير كافية للدلالة على مدى استيعاب الأرض للناس . وهي في الواقع لا تُخَوِّل الموازنة والمقايسة بين سكان البلدان لاختلاف الأراضي في الخصب وتفاوت صلاحها للزراعة ولتباين الموارد الاقتصادية وغير ذلك .

فلا عجب اذا عمد الباحثون الى التماس أقيسة أكثر ملاءمة تُسهل لهم الموازنة والمقابلة بين سكان البلاد المختلفة . وليس قياس من هذه القياسات التي تصوَّرها العلماء بكاف كل الكفاية . ولكنها اذ تؤدي الى نتائج متفاوتة تكشف عن اشتباك الجوانب في قضية كثافة السكان وفي نمط معيشتهم ومستوى حياتهم . ومن المناسب أن نعرض أطرافاً من هذه القياسات .



عمد العلماء الى حساب كثافة دعوها بالكثافة الفيزيولوجية لا تدخل فيها مساحة الأراضي المجدبة وانما تقتصر على عدد السكان العام مقسوماً على مساحة الأراضي المزروعة أو الصالحة للزراعة كما ذكرنا ذلك بصدد وادي النيل . ولكن الاعتماد على هذه الكثافة لا يخلو من مساوىء ، لأن الأراضي المزروعة ليست سواء في درجة الخصب ولأن أساليب معالجتها واستغلالها وانتاجها تتفاوت بين البلدان في درجة الجودة . ولا ريب أن الفدان الواحد يعطي غلات مختلفة حسب خصب الأرض والعناية بها وتعهدها .

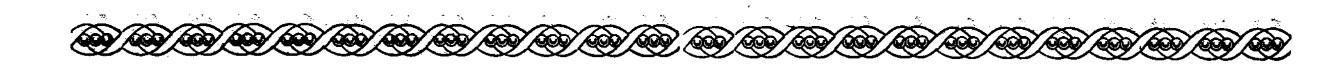
على أنه لو تساوت الدولتان فرضاً في خصب أراضيهما وفي أساليب استغلالهما لها لجاز أن تعتمد احداهما على ما تخرجه صناعتها من سماد في معالجة أراضيها على حين تبادل الأخرى بعض سلعها الزراعية والصناعية للحصول على مثل ذلك السماد .

ثم ان هنالك موارد أخرى للثروة غير الأراضي كالصناعة مثلاً اذ يتمكن السكان من مبادلة الغلات الزراعية المجنية في البلاد الأخرى بسلعهم المصنوعة . ولذلك يرى بعض الباحثين ابعاد السكان الذين يشتغلون بالصناعة وأمثالها والاقتصار على السكان الذين يعتمدون في معاشهم على زراعة الأرض . فينتهون في حسابهم الى ما يسمونه الكثافة الزراعية أو كثافة الزراعيين .

على أنه يلزم النظر في التجارة والصناعة الى جانب الزراعة . وكذلك لا يجوز اغفال أَرْكِزَة الأرض وكنوزها ومواردها الطبيعية المعدنية ولا موارد البحار والأنهار والمياه الداخلية . وقد سبق أن آبار النفط في توفير الرزق وتيسير الثروة وتسهيل أسباب المعيشة أكبر قيمة من خصب الأرض الزراعي الغزير .

ولا يخفى أيضاً لزوم اعتبار نمط الحياة الاجتماعية والسياسية والادارية في البلاد والحذر من الشركات الرأسمالية الأجنبية التي تتحكم في الأسواق وفي أسعار النفط وأحياناً في اشعال الحروب لترويج بيع الأسلحة ثم في تعمير ما خربته تلك الحروب .

ان الانتباه لكل ذلك وحسابه أمر يتصعب جداً . ولذلك يعمد الى حساب



دخل الفرد والى اعتبار ما يدعى بالحـدالموافق أو العدد الأمثـل للسكان في بيان درجة ازدحام الناس أو تخلخلهم في مجتمع من المجتمعات ·

ومعنى هذا الحد الموافق أو العدد الأمثل وجودُ حالٍ من التـوازن بين عـدد السكان من جهة والموارد المتهيئة من جهةمقابلة بحيث يستمتع الشعب بأوفر قسط من الرخاء الاقتصادي أو بأوفر دخل لكل شخص ·

وتكون البلاد ضئيلة الكثافة أو قليلة السكان اذا كانت كل زيادة لهم فيها ترفع الدخل الشخصي أو تزيد الرخاء العام ·وتكون مكتظة اذا كانت الزيادة لا تفعل شيئاً من ذلك أو كانت تنقصه· والخلاصة أن علاقة عدد السكـان بمساحة الأرض علاقة مشتبكة ينبغي أن ينظر فيها الى الموارد المختلفة والى نوع الأعمال وهل هي زراعية أو صناعية والى صفة الاختصاص عند العمال والى درجـة الانتاجيـة والى توافر رؤوس الأموال وأمثال ذلك ·

هذا وان الاكتظاظ الذي تبدو سماته في بعض البلدان مردّه الى قلة استغلال الموارد الطبيعية وضعف اختصاص العمالومجرد الاعتماد على الزراعة· فالاكتظاظ في نهاية التحليل ظاهرة من ظواهر التأخر يزول عند أخذ المجتمع بأسباب التقـدم · وهذا كله من شأنه أن يلزم الباحث بالتريث عند حكمه على قضية مشتبكة متعددة الجوانب كقضية الكثافـة والحد الموافق للسكان ·

وهذه كثافة بعض الدول الصناعية وغيرها عام ١٩٨٦ نوردها لمجرد المقارنـة والموازنة مع الدول العربية :

المملكة المتحدة ٢٣٣ ـ بلجيكا ٣٢٥ ـ فرنسة ١٠١ ـ الولايات المتحدة ٢٦ ـ الاتحاد السوفياتي ١٣ ـ الصين ١١٢ ـ هونغ كونغ ٥٢٩٢ ·

ـ الأرقام مأخوذة من Statistical Yearbook Unesco (1988) .

الريفيـون والحضريـون والبـدو

ان الكثافة الزراعية تفرق كما رأينا بين المشتغلـين بالزراعة وغيرهـم مـن المواطنين ·على أنه كثيراً ما يُعْمَد الى النظر في نسبة السكان الريفيين والمدنيين أو الحضر مكان لفظ الكثافة الزراعية ·



فاذا قابلنا عدد سكان الأرياف بعدد سكان المدن في المجتمع ظهر فرق بين البلاد التي تسود فيها أشكال الاقتصاد الريفي والبلاد التي أثر النمو الاقتصادي الصناعي في نسبة العددين حتى انه قلل من عدد الريفيين جداً .

هذه المقابلة اذ تميز الريفي من الحضري أو المدني[٤] تعتمد التفريق بين البلد وبين القرية أو المركز الريفي .

وليس هذا التفريق واحداً في المجتمات كلها . وفي أغلب البلدان الأوربية يعتبر الحد الأعلى لسكان المركز الريفي ألفي نسمة .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية يعين مكتب تعداد السكان في واشنطن مبدأ التفريق بين الريف والحضر عند كل تعداد .

وكذلك في الاتحاد السوفياتي يقرر مجلس السوفيات الأعلى حينما تعتزم الدولة إجراء التعداد أي المناطق ينبغي اعتبارها مراكز ريفية لأن بعض المراكز القليلة السكان صناعية فلا تدخل في الريف عندهم .

وغالباً ما يعتبر الحد الأدنى للمدينة أو المركز الحضري في البلاد العربية عشرين ألف نسمة . وتدخل في الحضر مراكز الأقسام الادارية كمراكز الألوية والمديريات والمحافظات والأقضية والقصبات ذات المجالس البلدية .

ان تصنيف الناس ريفيين وحضريين انما هو اعتبار اقتصادي احصائي .

تقل نسبة السكان الريفيين في مجموع السكان عن ٤٠ في المئة في الدول ذات الاقتصاد الصناعي المتقدمة . وهي بين ٤٠ الى ٧٥٪ في الدول التي تأثرت بالاقتصاد الصناعي وبتجمع روؤس الأموال لديها . وهي تتجاوز ٧٥٪ في البلاد التي ما زالت الصناعات الحديثة فيها ضعيفة .

وأحياناً يفضل حساب نسبة سكان المدن في مجموع السكان لبيان مدى التمدين أو التحضر ويمكن تصنيف البلاد العربية في مدى التحضر أي نسبة سكان المدن في مجموع السكان في ثلاث مجموعات :

١ ـ البلاد ذات المعدل الحضري العالي ، وهي الكويت والبحرين وقطر وبعض الامارات في دولة الامارات العربية المتحدة ، حيث تنقص نسبة الريفيين فيها عن ٢٥ ٪ .



٢ ــ البلاد ذات المعدل الحضري المتوسط كالسعودية ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والعراق والأردن وسورية نسبة الريفيين فيها بين ٦٠ ــ ٢٥٪ ٠

٣ ــ البلاد ذات المعدل الحضري المنخفض نسبة الريفيين فيها أكثر من ٦٠٪ ٠

وأهم عامل في نمو الحضر بالعالم العربي الهجرة الداخلية من الريف الى المدن والهجرة الخارجية الى هذه المناطق ٠ وهذا النمو صائر الى الازدياد ولكنه بحاجة الى الضبط والتنظيم ٠

هنالك صنف ثالث في المجتمعات العربية ليس مستقراً وهو البدو ٠ ولا بد من لمحة تتلمس حياتهم ٠

البداوة ظاهرة طبيعية تطلق على حياة القبائل الرحل التي تتنقل في قلب البادية أو الصحراء وحركة هؤلاء أفقية ٠ ففي الشتاء والربيع ينتجعون مواقع الغيث ومواطن الكلأ ، وفي الصيف والخريف يتركون جوف الصحراء ويقتربون من الأنهار وآبار المياه ويخيمون قريباً من المدن ٠ أما الرعاة الذين يعيشون في شعاف الجبال فحركتهم رأسية أي يهبطون الى الوهاد والسهول في الشتاء عند انخفاض الحرارة وهطل الثلوج ويصعدون ابَّان الصيف في المرتفعات المكسوة بالكلأ لرعي قطعانهم ٠ وجميعهم يقتصرون على الضروري من الأقوات واللباس ويتخذون البيوت من الشعر والوبر والأكواخ من القصب وأحياناً من اللبن والحجارة قصداً للاستظلال والكِنّ أما من كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فيقال لهم شاوية ومعناه القائمون على الشاء والبقر وهم يتقلبون في البادية يرتادون المراعي والمياه لحيواناتهم ٠ وأما من كان معاشهم في الابل فهم أكثر ظعناً وأبعد في القفر مجالاً ٠

والبدو أصل للريف والحضر وسابق عليهما وخشونة البداوة قبل رقة الحضارة على حد تعبير ابن خلدون في مقدمته الشهيرة ٠ وهم عنده أقرب الى الخير والى الشجاعة كما أن من صفاتهم حب الحرية والاخلاص للقبيلة ٠

والقبيلة هي العمود الفقري للحياة الاجتماعية البدوية وهي التي تنتمي أفرادها الى جد واحد وتضم الأهل والأسر والأحفاد ٠



ومضيف شيخ القبيلة شبيه بالندوةالنيابية لأفراد القبيلة يتناقل الجميع فيه الأخبار الواردة • وفيه تنزل الوفود القادمة ، وفيه يُبرم كثير من الأمور التي تهم القبيلة • وقد دخلت أجهزة الترنزستور أقصى خيام البدو • فهم يستمعون الى الأخبار العالمية والمحلية وينصتون الى ترتيل آيات القرآن الكريم والى الموسيقى والأغاني ، كما أنهم الى جانب مطاياهم من الابل والخيل يستعمل أغنياؤهم السيارات • وعندهم من الأسلحة ما يردون به عن أنفسهم العدوان وان وقع العدوان على أحد أفراد القبيلة ولم تتهيأ الدية أو التعويض ولا الصلح لجأ أقرباء المعتدى عليه الى الثأر ، وهو أمر كان معروفاً في جاهلية العرب فحرمه الدين الحنيف • ولكن التخلف والجهل جعلاه يذرّ قرنه أحياناً بين الأسر والقبائل • وقد قللت من شِرّته سيطرة الحكومات المحلية وحسن تصرف الشيوخ وحكمتهم وتأثر نمط الحياة البدوية بخصائص الحياة المدنية المعاصرة وتطورها الفكري والتقني • وقد أوجدت هذه الحياة حاجات ومآرب جديدة قريبة من حياة الريف وحياة الحضر •

ان هذا التأثر بالحياة المدنية المعاصرة كان نتيجة وسائل الاعلام ونتيجة تطور وسائل المواصلات مثل مد شبكات الطرق والسكك ووسائل النقل الحديثة التي حدت من عزلة البدو بل قضت عليها وأودى ذلك كله الى ضعف الرابطة العصبية وانحلالها والى الاستقرار التدريجي الذي حل محل الظعن والترحال • ومن استقر من البدو أصبح يزاول الزراعة وينتقل من الحياة البدوية الى الحياة الريفية ويدخل في نظام التعليم الذي تطبقه الحكومات المحلية •

وقد أخذت الدول العربية منذ أوائل القرن العشرين تهتم بهذا الجزء الطيب من سكانها وهو البدو فعمدت الى توزيع الأراضي ومعالجة الملكية الزراعية والى توفير الآبار في البوادي والى نشر التعليم ووسائل الثقافة • وشرع البدوي يرتبط بأرضه ووطنه ويبرز بين أبناء الوطن في مختلف الميادين الاجتماعية والثقافية والسياسية محافظاً على ذكائه الفطري وطباعه الأصيلة وعقيدته الرفيعة العالية •

وفي جميع البلاد العربية مشاريع لتوطين البدو تتحقق بالتدريج والتنظيم ولا سيما في سورية والعراق ودول الخليج والمغرب العربي • ومن أبرزها مشروع غياثي في دولة الامارات •



أما الاهتمام بالزراعة والتشجير فهوقائم على قدم وساق في مختلف أنحاء الوطن العربي مع انشاء السدود وجر المياه وتحلية ماء البحر أحياناً • وكما تغلب الهولنديون على البحر بانشاء بعض الأراضي الزراعية فوقه قرب الشاطىء فقد تغلب أبناء الخليج على الصحراء وقتامها وجعلوا بعض جوانبها حدائق وبساتين وجنات يحف بها الدوح والأشجار وتنبت من كل زوج بهيج ، وأناروها بالكهرباء انارة تبعث الراحة والطمأنينة والرضا في النفوس • ومع ذلك فلا بد في الحياة من مشكلات ناشبة • وقيمة الانسان في تغلبه على هذه المشكلات وحلها حلا يعود بالخير والمصلحة العامة على الوطن والشعب •

الذكور والاناث ومعيار نسبتها

يمكن حساب نسبة الذكور الى الاناث بين المواليد أولاً وفي المجتمع كله ثانياً ، وذلك بالنظر في سجلات مكاتب الصحة أو في نتائج التعداد أو بطريق التقدير المستند الى تلك النتائج والسجلات •

نسبة الذكور الى الاناث بين المواليد ظهر بالاحصاء والتسجيل الدقيقين أن هذه النسبة ثابتة وهي تساوي ١٠٥ صبيان الى ١٠٠ بنت • وقد ترتفع بعض الشيء وقد لوحظ ذلك غبّ الحروب فتبلغ على أكثر تقدير ١٠٧ وقد تنخفض الى ١٠٢ ولكنها تبقى دائماً حول ١٠٥ • وثبوتها هذا عبارة عن معيار ديمغرافي دقيق • وهو متعارف الى درجة أنه لو وجدت النسبة في نتيجة الاحصاء أو التعداد تزيد على ذلك أو تنقص عنه بمقدار كبير لصح أن يتخذ ذلك دليلا على خطأ التسجيل وقلة ضبطه • وقد تدعى هذه النسبة اختصاراً نسبة الجنس أو نسبة الذكورة • وعلى سبيل التمثيل نسبة الجنس بين المواليد ١٠٥ في الامارات العربية المتحدة والبحرين والكويت وقطر وهي ١٠٦ في مصر والعراق والأردن ولبنان وسورية واليمن الديمقراطية واليمن العربية وعمان والسعودية (١٩٨٦) • ولو ظهر في بعض البلدان العربية ارتفاع هذه النسبة أحياناً لرجع ذلك الى قلة الضبط في مكاتب الصحة أودوائر التسجيل ولا سيما في بعض الأرياف وكأن هؤلاء الريفيين بعاداتهم القديمة يبلغ بهم اجلالهم لاناثهم وغيرتهم عليهن ألا يسجلوا أسماءهن عند الولاودة أو عند التعداد • ولكن هذه العادات صائرة الى التغير والى الرغبة في ضبط الأمور الذي هو في مصلحة الجميع •



نسبة الذكور الى الاناث بين السكان : ارباء البنين على البنات في العدد بين المواليد من شأنه أن يجعل في جميع البلادبين فئات الأعمار الفتية عدد الصبيان أكثر بقليل من عدد البنات ولا سيما منذالولادة حتى سن العشرين أو بعدها بقليل • ولكن عدد الاناث لا يلبث أن يعادل عدد الذكور لأن وفيات الذكور أكبر عادة من وفيات الاناث في جميع مراحل العمر اذا تساوت العناية والأحوال الاجتماعية التي يعيش فيها الجنسان •

وهنالك صروف تدخل نقصاً على عدد أحد الجنسين :

الهجرة الخارجية التي حملت مئات الألوف في القرن التاسع عشر الى أمريكة واسترالية زادت في عدد الذكور الشباب بهما ، لأن أكثر المهاجرين كانوا من جنس الذكور ، وبالمقابل زادت في نسبة الاناث بالبلاد التي رحل عنها أولئك المهاجرون •

وكذلك الشأن في البلاد النفطية العربية • فقد حملت تيارات الهجرة اليها آلافاً من العمال العرب والعمال الأجانب والتجار والموظفين والسماسرة والمهندسين والمعلمين ممن هي بحاجة اليهم في شتى شؤون الحياة والمعيشة والادارة • ولكن هذه البلاد عمدت الى تنظيم تلك التيارات فلا يدخل اليها منها الا من هم يلبّون حاجاتها ومآربها • وأكثر هؤلاء من الذكور يهاجرون أول الأمر بأنفسهم ثم قد تلحق بهم أسرهم اذا سمحت الظروف بذلك •

ثم ان الهجرة الداخلية من الأرياف الى المدن الكبيرة تحمل على الغالب الذكور للعمل وتبوؤ بعض المناصب الادارية أو غيرها كما هو جارٍ في عواصم الدول العربية ومدنها الكبيرة • وهكذا يُرْبي عدد الذكور على الاناث في هذه المدن والعواصم •

والحروب عامل ضخم في تنقيص عدد الرجال لدى بعض فئات الأعمار وهي بالمقابل تزيد نسبة النساء في الأعمار الموازية كما حصل ذلك في ألمانية والاتحاد السوفياتي من جراء الحرب العالمية الأخيرة ، ولكن التقنيات الحديثة في الحروب والرجم بالقنابل لا تفرّق بين أحد من الجنسين •

ومهما اضطربت نسبة الذكور الى الاناث في المجتمع فهي تعود بالتدرج الى الاعتدال بطريق المواليد بحيث يبقى الجنسان قريبي التعادل في العدد •



ان اغفال التسجيل يدخل نصيباً من الاضطراب في نتائج التعداد السكاني الجاري في بعض البلاد العربية وفي عدد المواليد ولا سيما الاناث في بعض الأرياف كما سلف ذكره • ولا بد عند تأمل تلك الأرقام ودراستها من محاولة تصحيحها بالأساليب العلمية الحديثة •

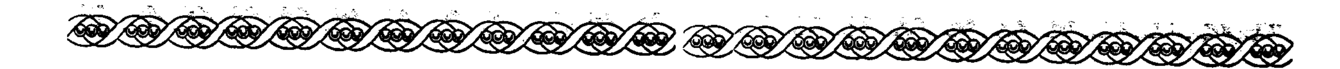
على انه اذا كانت وفيات الذكور في الحال الطبيعية السوية أكثر من وفيات الاناث في مختلف الأعمار وهو ما يجعل عدد الاناث يرتفع تدرجاً مع ارتفاع السن فان وفيات الاناث في البلدان العربية لا تزال مرتفعة بسبب الزواج المبكر وتعدد الحمل وحصول الولادة أحياناً في الأرياف دون اشراف طبيب أو قابلة مختصة وتعرّض الأمهات الوالدات لحمى النفاس التي قد تودي بحياتهن • ولهذا كله لزمت العناية بهذا الركن الأساسي الصحي للمجتمع الناشىء ، فلا تحصل ولادة الا في مشفى وباشراف طبيب أو قابلة وفي ذلك حماية للأمهات وللمواليد ، وصيانة لهذا الجانب الغض من المجتمع •

الأعمار ومضلعاتها ومعيار فتوّة الشعب وهرمه

من السهل في كل مجتمع معرفة عدد أفواج الأحياء حسب أعمارهم من الولادة أي من الصفر حتى أكلأ[٥] العمر الذي يبلغه الانسان نحو مائة وعشر سنين أو مائة وعشرين سنة •

وتقسم في علم السكان هذه الأعمار الكثيرة الى فئات تستغرق كل فئة خمس سنين أو عشراً • ويمكن أن يعرف عدد الأشخاص من الذكور ومن الاناث في كل فئة من فئات الأعمار تلك أو نسبة كل منهم في المجموع •

ولمعرفة أفواج الأعمار شأن • فمن المعلوم أن نشاط الحياة الاقتصادية منوط في جملة العوامل بعدد الشبان والكهول القادرين على العمل والانتاج • وان التوازن بين محاصيل الأعمال التي ينجزها الكهول والشبان والنفقات التي يستدعيها الأطفال والمسنون والعجزة يتعلق بعدد كل فريق منهم • ثم انه لا بد ان نشبت الحرب من معرفة عدد الرجال القادرين على حمل السلاح • وكذلك في التربية والتعليم من المناسب معرفة عدد الأطفال الذين تقع تبعة تعليمهم على الدولة اذا



بلغوا سناً معينة من أجل انشاء عدد كاف من المدارس . والأمثلة كثيرة في هذا المجال قد يطول استقصاؤها .

وكذلك تفيد معرفة توزيع الأعمار في تفهم كثير من خصائص السكان الديمغرافية الأخرى وتساعد على قياسها وحسابها .

ولدراسة الأعمار بالتفصيل يعمد العلماء الى رسم ما يدعونه هرَم الأعمار ترجمة حرفية للفظ الأجنبي ولفظ الهرم يدل على المجسم المعروف في مبادىء الهندسة . وليس الشكل هنا هرَماً . وانما شاع هذا اللفظ في علم السكان ارتجالا وهو في أحسن التأويلات يشبه مقطعاً سطحياً للهرم . ونحن نؤثر استعمال لفظ مضلع الأعمار .

ويرسم المضلع هذا بأن نحمل الأعمار من الصفر الى الحد الأعلى (مائة وأكثر) على محور الترتيبات ، وأن يحمل على محور الفواصل عدد أفراد الفوج أي عدد الأحياء في كل فئة من فئات العمر . ويوضع مضلع الاناث في جانب من المحور الرأسي ومضلع الذكور في جانب آخر . وتؤخذ فئات الأعمار خمس سنين أو عشراً كما ذُكر آنفاً . وأحياناً تؤخذ كل سنة بل كل شهر في السنين الأولى من العمر لأهمية الوفيات بين الرضع والأطفال ، فيحصل خط بياني منكسر . ولو نقصنا فروق الأعمار حتى تبلغ سنة أو شهراً لاقترب الخط المنكسر من المنحني .

ويجوز أن تحمل على محور الفواصل نسبة كل فوج في جملة السكان . وتفضل هذه الطريقة خاصة حين تُقصَد المقايسة والموازنة بين الشعوب في تسلسل الأعمار من الوجهة الديمغرافية .

يكون الشعب فتياً اذا كان المضلع عريض القاعدة دقيق القمة ، وذلك حين يكون الشعب كثير المواليد . ويكون الشعب هَرِماً اذا كانت قاعدة المضلع ضيقة وقسمه العالي واسعاً منتفخاً ، وتكون المواليد والوفيات قليلة اذ ذاك .

والشعب الهَرِم والشعب الفتي مصطلحان ديمغرافيان كما شرحنا ولا يقصد بهذين التعبيرين معنى آخر . هذا وينبغي أن يُفَرّق بين الشعب الهرم والشعب



القديم أو التاريخي • فالشعب العربي في العصر الحاضر شعب فتي بمعنى أنه كثير المواليد ولكنه شعب تاريخي وقديم •

ان مضلع الأعمار للشعب سجل تاريخي للأحداث الانسانية الكبيرة التي تلم به وتؤثر فيه كالحروب والهجرة منه واليه والأزمات الاقتصادية • فالحروب الدامية تتسبب بهلاك طائفة من الناس يظهر غيابها على مضلع الأعمار في شكل فجوة أو ثغرة بين الذكور في أعمار معينة • والأزمات الاقتصادية والمجاعات وأمثالها من كوارث تستدعي كثرة الوفيات أو الهجرة من البلاد • ثم انه ينشأ عن ذلك غيض في المواليد ولا سيما من جراء قتلى الحروب ، وغيض المواليد هذا يظهر في شكل فجوتين أو ثغرتين على جانبي المضلع تدعيان بالطبقات الجُوف • وهي بدورها تترك أثراً في خفض عدد عقود الزواج ونقص المواليد في المستقبل • وذلك كما تنجم عن سقوط حجر في الماء أمواج متلاحقة تنداح على سطحه • فدراسة مضلع الأعمار دراسة دقيقة تَشِفُّ عن أحداث الشعب التاريخية التي تركت في بِنْيَتِهِ آثاراً وتفيد في توقع أحداث ديمغرافية مقبلة كهبوط عقود الزواج مثلاً متى بلغت تلك الطبقات الجوف سن الزواج •

واذا دققنا مضلعات الأعمار لشعوب البلدان العربية النفطية وجدناها منتفخة في جانب الذكور خاصة لأعمار معينة • وذلك ناشيء عن هجرة الشباب والكهول للعمل فيها •

وقد يعتمد الباحثون بعض المعايير والأدلة الحسابية في معرفة فتوة الشعب وهرمه • انهم قد يحسبون العمر المتوسط للشعب وهو الوسط الحسابي لأعمار السكان أي هو عبارة عن مجموع أعمار السكان مقسوماً على عددهم • فاذا كان منخفضاً دل على فتوة الشعب كما في البلاد العربية • ولكن العمر المتوسط هذا ضعيف الدلالة • فقد يكون لشعبين جد مختلفين في التركيب عمر متوسط واحد • ثم ان كل تغير يطرأ في هرم الشعب يظهر أثره ضئيلاً في تبدل العمر المتوسط • هذا وان شخصين وليداً ورجلاً في الستين من عمره لا يعادلان رجلين كلاهما في الثلاثين من العمر •

وقد يحسب العمر الوسيط وهو مصطلح احصائي آخر ومعناه العمر الذي

يقسم مجموع السكان قسمين متساويين بحيث يكون عددهم فوقه يكافىء عددهم دونه ٠ هذا ويفضل أن يُصنف السكان في ثلاث فئات كبيرة تقع أعمار أفرادها تباعاً كما يلي :

٠ ــ ١٩

٢٠ ــ ٥٩ وقد تقسم الى قسمين ٢٠ ــ٣٩ ، ٤٠ ــ ٥٩

٦٠ فما فوق ٠

وعندئذ يُقابل بين تركيب هذه الفئات في شعبين مختلفين أو في شعب واحد لزمنين مختلفين ٠ هذه الفئات الكبيرة الثلاث ذات صفات متفاوتة ٠

فالفئة الأولى (٠ ١٩) تشمل الأطفال والأحداث واليافعين، وهم عماد المستقبل ولكنهم من الوجهة الاجتماعية يعيشون على نفقة الفئة الثانية اذ لا يكاد يبدأ الفتى يشتغل الا حول سن الخامسة عشرة ٠

والفئة الثانية تضم الشباب والكهول أي المنتجين حقاً في ميدان الحياة الاجتماعية. واذا ابتدأ الانتاج حول سن الخامسة عشرة فقد يستمر أحياناً الى ما وراء الستين ولا سيما في مجال الأعمال الزراعية ٠

والفئة الثالثة تحوي المسنين والشيوخ الذين بلغوا سن التقاعد أو الاحالة على المعاش وبدؤوا ينقطعون بالتدريج عن الانتاج ٠

ولا يخفى أن عدد كل فئة بالنسبة الى المجموع أو الى الفئتين الأخريين يقدم فكرة جلية عن قوى الشعب وعن فتوته وعن هرمه ٠

واليك المعايير المعتمدة حديثاً في هذا المجال ، وهي أدلة عددية :

يعتبر الشعب فتياً اذا كانت نسبة الذين أعمارهم أقل من ٢٠ سنة فيه أكثر من ٣٥ في المائة ٠ وأنه لا يزال في مرحلة الفتوة اذا ترجحت هذه النسبة بين ٣٣ ــ ٣٥ ٠

وأنه ليس بشديد الهرم اذا كانت هذه النسبة فيه تساوي ٣٠ ٠

وأنه هَرِم اذا نقصت هذه النسبة فيه عن ٣٠ ٠

واذا نظرنا الى عدد الذين أعمارهم أقل من ٤٠ سنة اعتبرنا الشعب فتياً اذا كانت نسبتهم فيه لا تقل عن ٦٥ في المائة ٠

واذا نظرنا الى عدد الذين تجاوزوا الستين فيكون الشعب فتياً أيضاً ان كانت نسبتهم لا تزيد على ١٢٪ ٠

هذا وفي كثير من الأحيـان تحسب النسبة الآتية :

$$\frac{\text{عـدد الذيـن فوق الستين سنة}}{\text{عـدد الذيـن تحت العشرين سنة}}$$

فالشعب الفتي تكون هذه النسبة فيه أقل من ٤ر٠

هذا ويترتب على هـرم الشعب أوفتوته نتائج في ميدان الحياة الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية تحتاج الى شرح ومناقشة ٠

الـزواج والولادة والخصـب

نظم الاسلام الزواج تنظيماً دقيقاً وحفـز عليـه ورغّب فيـه ٠ وهو عنـد الشافعية من الشهوات لا من القربات ، فالتخلي للعبادة عندهم لغير التائق للزواج أفضل من الزواج ، وهو عنـد الحنابلة سنة ٠ والاشتغال به أفضـل مـن التخلي لنوافل العبادة ٠ وهو عند المالكية مندوب على الجملة ، ولكنه يبلغ عند الحنفيـة مرتبة العبادة ٠ بل يصل عند ابن حزم الظاهـري الى مرتبـة الفريضـة علـى القـادر لـه ٠

ولا شك في أن تنظيم الاسلام للزواج كان حرصاً منه على ضمان غريزة الحب وتوجيهها وجعلها تسلك أفضل السبل الى غايتها ألا وهي تتامّ الزوجين من الناحية الفيزيولوجيـة والنفسية والاجتماعية وتعاونهما وتوادهما وتراحمهما وسـكون أحدهما الى الآخر ٠ « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليهـا وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (الروم ٣٠ : ٢١) ٠

وهكذا أقام الاسلام على غريـزة الحب الطبيعية نظاماً شرعياً واجتماعياً أعلى وأسمى من مجرد الميل الطبيعي ٠ يضاف الى ذلك قلوب الرجال العرب النبيلة التي تخفق بأجمل عواطف الحب ٠ ويرغب كل أمرىء منهم في أن ينشىء أسرة ويرعى زوجته وأولاده ويحميهم جميعاً ويذلـل لهم مرافق الحياة ، كما أن المرأة العربية

اشتهرت منذ القديم بالخَفَر والصبر والعفاف والتضحية وتعهدها لبيتها وزوجها وأولادها ·

فالحال الطبيعية والاجتماعية السليمة عندنا أن يكون كل انسان ذكراً أو أنثى متزوجاً · ولما كان العرب حراصاً على صحة الأنساب وسعادة الأسرة منعوا أن يتسرب اليها الفساد ونظروا اليه على أنه كارثة ومأساة لا سخرية ولا هزواً كما عند بعض الشعوب ·

أما العُزْبة فيُنظر اليها في البلاد العربية بوجه العموم على أنها أمر غير طبيعي ، وليس بالسويّ ولا المستَحَب ·

ولهذا كان معدل العزّاب بين الرجال والنساء في البلاد العربية لدى مختلف فئات الأعمار أقل منه في البلاد الغربية ·

فالزواج اذن هو الحال الغالبة بين الناس ·

ثم ان الزواج مبكر في البلاد العربية ولا سيما بين البنات · ولو اعتمدنا على الأرقام التي يعطيها الاحصاء للزم أن يُنظر اليها على أنها تقريبية في البلاد العربية لأنه يجوز اجراء عقد الزواج الشرعي قبل تسجيله أو دون تسجيله ولا سيما في الأرياف ، وان كان التسجيل صائراً بالتدريج الى الضبط والدقة · والناس في البلاد العربية يحبون أن يكون لهم ذرية فهي عندهم استمرار لذواتهم ، وهي عندهم ينبوع سعادة ، وهي عندهم مجال للتفاخر والتكاثر · وقد دعم الدين هذا الميل المتأصل في النفوس ، كما جاء في الحديث الشريف ·

ويذكر أبو حامد الغزالي في جملة « الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده » على حد تعبيره « أن تكون المرأة ولوداً فان عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها ، قال عليه السلام : عليكم بالولود الودود · فان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعي صحتها وشبابها فانها تكون ولوداً في الغالب مع هذين الوصفين » ·

وعندنا أن اباحة تعدد الزوجات في بعض الأحوال الاستثنائية تدخل في العناصر الايجابية لتنظيم العلاقات الجنسية ولتكثير النسل · وتتفهم هذا بسهولة اذا

انتبهنا في التاريخ لارباء عدد النساء على الرجال في صدر الاسلام بسبب شهداء المجاهدين الذين فتحوا جوانب الأرض ، وكذلك ورث المسلمون الأوائل ما خلفته جاهليتهم من آثار التقاتل والتفاني بين القبائل اذ كانت الحروب والغارات سجالاً بينهم . ولا شك أن آثارها كانت مشؤومة على الذكور ، ولا يمكن أن يعدلها وأد البنات الذي كان محدوداً ، والذي انما عرف عند قليل من القبائل وحسب ، فحرمه الاسلام .

واتجاه الدين في روحه فالى الاكتفاء بزوجة واحدة . ذلك أدعى للسعادة ولحسن تربية الأولاد . على أن التطور الاجتماعي وضع صعاباً اقتصادية ازاء تعدد الزوجات . فأصبح هذا التعدد قليلاً أو نادراً جداً الا في البيئات الريفية ولدى الأغنياء من الريفيين . ويقصد الزواج المتعدد أحياناً الى تيسير بعض الأمور الاقتصادية لأن الزوجة في الريف تقوم بكثير من الأعباء الاقتصادية كالعناية بالماشية واعداد الحليب والزبدة والجبن وغيرها . بيد أن ذلك صائر الى الزوال والاحتجاب .

ومع تلك الاعتبارات الدينية والنفسية السالفة نعتقد أن الأحوال الاجتماعية العامة ونمط الاقتصاد الزراعي هي المحددة نهائياً بوجه عام لارتفاع معدل المواليد في البلاد العربية .

ان معدل المواليد[٦] هذا يحسب بقسمة عدد المواليد في سنة تقويمية[٧] على متوسط عدد السكان في خلال السنة نفسها وهو ما يكافىء عدد السكان في ١ تموز (يوليو) على أن يضرب خارج القسمة بألف :

$$\text{معدل المواليد} = \frac{\text{مو} \times ١٠٠٠}{\text{ع}}$$

مو عدد المواليد ، عدد السكان في منتصف السنة .

واذا شملت الولادات المواليد الأحياء والمواليد الأموات وصف المعدل بالجمعي .

ولكن لا يدخل فيها على الغالب الا المواليد الأحياء فيوصف المعدل بالناجع أو الواقعي . واذا أُغْفِل وصف معدل المواليد فالمراد هذا المعدل الأخير الذي لايحوي الا المواليد االاحياء . وهو المعدل المتداول الشائع الاستعمال .

على أنه من المناسب عند حساب عددالمواليد في السنة أن ننتبه لعدد المواليد الحاصلة فعلا في السنة وعدد المواليد المسجلة لأن مهلة التسجيل قد تكون في بعض البلدان طويلة تتجاوز الشهر، ، وهذا ما يجعل العدد الأول يختلف عن العدد الثاني أحياناً •

كذلك من المناسب الانتباه لتعريف المولود الحي لأن المجتمعات تختلف في هذا الاعتبار •

فبعض البلدان يعطي مهلة ثلاثة أيام أوأكثر لتسجيل المولود ، فاذا هلك المولود خلال هذه المهلة سجل في عداد المواليد الأموات لا في عداد المواليد الأحياء •

وثمة اختلاف في تعريف الوليد الحي عند ولادته هل يعتبر التنفس أو الاستهلال أو أي أمارة حياة أخرى دليلا على حياته فيُعد وليداً حياً ولو هلك بعد ذلك بوقت قصير أو هل تعتبر مدة الحمل (ستة أشهر في ايطالية) أو مقدار الوزن (٤٠٠ غرام كما في تشيكوسلوفاكية) شرطاً لاعتباره قابلاً للحياة لأن الأجنة الذين يولدون قبل تلك المدة أو الذين أوزانهم أقل من ذلك قلما يعيشون ولو ولدوا أحياءً • هذه اعتبارات تتفاوت بتفاوت التشريع •

- هذا وقد اقترحت منظمة الصحة العالمية في آذار (مارس) سنة ١٩٥٠ تعريف « ولادة الوليد الحي » بأنها « طرح جسم الأم نتاج الحمل بصرف النظر عن مدة الحمل أو اخراجه منه على أن يتنفس هذا النتاج بعد الانفصال أو تظهر عليه أمارة من أمارات الحياة كخفقان القلب أو نبض الحبل السُرّي أو اختلاج عضلة قد تخضع لفعل الارادة سواء قطع الحبل السري أم لم يقطع وفُصلت المشيمة أو لم تفصل » •

ولا شك في أن توحيد هذه الاعتبارات لدى مختلف المجتمعات ييسر الموازنة الصحيحة بين معدلات المواليد •

هذا وقد اهتم الفقهاء المسلمون منذ القديم بتعريف المولود الحي و بتفريقه عن المولود الميت وآراؤهم في هذا الموضوع تطابق تماماً توصية منظمة الصحة العالمية • جاء في « تكملة البحر الرائق شرح كنز الدقائق» : «وطريقة معرفة انفصاله حياً أن يستهل أو يُسمع منه عطاس أو تنفس أو يتحرك بعض أعضائه أو ما شاكل ذلك » (٨) •

ويجري على هذا النهج من البلاد العربية جمهورية مصر العربية • فهي تعتبر أي أمارة من أمارات الحياة كافية لاعتباره حياً ، فاذا مات قبل تسجيله سجل بين المواليد الأحياء ثم بين الوفيات ولم يسجل بين المواليد الأموات • وتجري سورية على تسجيله بين الوفيات لا بين المواليد الاحياء •

واذا تأملنا معدلات المواليد في مختلف البلدان جاز أن نصنفها تصنيفاً عاماً في ثلاثة أقسام :

١ ـ بلاد مولوديتها ضعيفة ، (وهي ماقل عدد المواليد فيها عن ٢٠ لكل ألف شخص من السكان) •

٢ ـ بلاد مولوديتها متوسطة (من ٢٠ الى ٣٠ بالألف) •

٣ ـ بلاد مولوديتها مرتفعة (أكثر من ٣٠ بالألف) •

وفي الغالب تكون البلاد ذات الحضارة الصناعية الرأسمالية ذات معدل مواليد منخفض ، على حين أن البلاد الزراعية والبلاد الناشئة النامية ذات معدل مرتفع •

والبلاد العربية مرتفعة المولودية ،ومعدل المواليد فيها على الغالب يناهز الأربعين بالألف • وسنورد عما قليل بعض الأمثلة •

ويفيد معدل المواليد في بيان زيادة الشعب في السنة بوجه عام ،ولكنه غير دقيق الدلالة • ذلك أن المواليد تنسب الى مجموع السكان في منتصف السنة ، وفيهم الأطفال والأولاد الصغار والمسنون والنساء اللواتي تجاوزن سن الخمسين • وكذلك لا يكفي الاعتماد على هذا المعدل وحده في المقابلة بين الشعوب لأن فئات الأعمار عندها ليست متشابهة ، فبعضها كما ذكرنا في بحث الأعمار فتي" وبعضها هَرِم أو مُسِن •

واذا أريد التدقيق في الولادات لزم حساب معدل الخصب[٩] وهو عبارة عن عدد المواليد في غضون السنة التقويمية منسوباً الى عدد الاناث من سن العاشرة أو سن الخامسة عشرة الى نهاية التاسعة والأربعين •

فاذا كان عدد المواليد يشمل المواليد الأحياء والأموات حصلنا على الخصب الجمعي ، واذا شمل الأحياء وحدهم كان الخصب الواقعي • واذا أغفل الوصف كان الخصب الأخير هو المقصود •



وباعتبار معدل الخصب يمكن تقسيم البلاد ثلاث زمر :

١ ــ بلاد معدل الخصب فيها ضعيف (أقل من ٨٠ بالألف) ·
٢ ــ بلاد معدل الخصب فيها متوسطة (بين ٨٠ ــ ١٠٠ بالألف) ·
٣ ــ بلاد معدل الخصب فيها مرتفع (أعلى من ١٠٠ بالألف) ·

والبلاد العربية من الزمرة الأخيرة ·

ان معدل الخصب أقوى دلالة على مدى الانسال في المجتمع من معدل المواليد ، لأنه بالتعريف ينسب المواليد الى الاناث في سن الانسال لا الى مجموع عدد السكان ·

ان التبكير في تزويج البنات من أهم العوامل التي ترفع معدل الخصب في فئات الأعمار الفتية بين الزوجات · ولو رجعنا الى جدول نسب المتزوجات لرأينا أن نسب الزوجات اللواتي أعمارهن بين ١٥ ــ١٩ وبين ٢٠ ــ ٢٤ في البلاد العربية تعادل نسب عدد الزوجات اللواتي أعمارهن بين ٢٠ ــ ٢٤ ، ٢٥ ــ ٣٤ في فرنسة والسويد مثلاً · فالتبكير في زواج البنات اذن حاصل في البلاد العربية بمقدار خمس سنوات بالنسبة للبلدين الأوربيين الآنفين · وهذا التبكير أهم نتائجه زيادة الأولاد واتساع الذرية ·

هذا وترغب الأسرة العربية في الأولاد فهم عدة الأهل وعتادهم وعمادهم وأملهم الكبير · والنفقات القليلة التي تصرف على تربيتهم تعود بالخير الوفير على أهليهم وعلى بلادهم ، وانه لا شيء أغلى ولاأعلى من الانسان ولا سيما اذا نظرنا الى القيم الرفيعة المختلفة التي يستطيع تحقيقها وانشاءها وابداعها ·

والذي يجعل الأهلين يرغبون في الذرية أحياناً ارتفاع نسب الوفيات بعض الشيء بينها · فاذا فقد الأبوان ولداً لهما رجَوا الله أن يثيبهما أجراً في مصيبتهما وأن يعوضهما بدلا منه · هذا ولا ريب في أن معدل المواليد سوف يقل بعد أمد حين تتقدم الأحوال الاجتماعية وتزدهر الموارد الاقتصادية ويرتفع مستوى المعيشة وتنخفض تبعاً لذلك الوفيات ·

وثمة فريق من الباحثين قد يُغَرِربهم التفكير الاستعماري فيدعون الى ضبط النسل وتقليل المواليد في البلاد العربية ·



ولقد سلف أن أكثر البلاد العربيــة متخلخل بالناس قليل الكثافة بهــم محتاج الى العمران الذي يتم بزيادة السكان :وأيا كان الأمر فلا شك أن السبيل القويم السعي لتقليل الوفيات بتحسين أحــوال المعيشة عامة وزيادة الموارد الاقتصاديــة والعناية بالأمور الصحية ٠

فاذا تهيأ ذلك وتقدمت البلاد انخفض بطبيعة الأمر معدل المواليــد ، وهكــذا يبين أن الصواب البدء بمكافحة الموت لا بمكافحة الحياة ٠

الــوفيـــات

الولادة والوفاة بالنسبة الى الفرد طرفان لحياته في هذا العالــم ٠ الــولادة بدايتها والوفاة نهايتها ولكنهما للمجتمع وظيفتان دائمتان ٠ فهو يضيع بالموت في كل حين قسماً من عناصره ، ويعتاض بالولادة عناصر جديــدة ٠ ويشبــه في هــذا التجدد الجسم الحي الذي يضيع بعض خلاياه ويتبدل بها خلايا حديثة ٠

واذا كانت الولادات عاملا مهماً في زيادة السكــان فالوفيــات تأتي في طليعــة العوامل التي تنقص عددهم ٠ ويحسب لها في كل مجتمع معدل بأن يحصى عددها في غضون السنة التقويمية ويقسم على عدد السكان في منتصف السنة ويضاعف خارج القسمة بألف ٠

وقد يؤخذ عدد السكان في أول السنة بدلاً من منتصف السنة ٠ فتحصل عندئذ نسبة الوفيات ٠

هذه النسبة الأخيرة تتضمن معنى احتمال الوفاة المتعرض له كــل فرد مــن السكان في بداية السنة ٠ ولكل من النسبة والمعدل موضع استعمال والفرق بينهمــا ضئيل جداً(١٠) ٠

هذا ويمكن في العصر الحاضر تقسيم البلدان ثلاث زمر بحسب ارتفاع معــدل الوفيات السنوي ٠

١ ــ البلدان الكثيرة الوفيات (المعدل أعلى من ١٣ بالألف) ٠
٢ ــ البلدان المتوسطة الوفيات (المعدل بين ١٠ ــ ١٣) ٠
٣ ــ البلدان القليلة الوفيات (المعدل أقل من ١٠) ٠



هذا جدول بالاحصاءات الحيوية في البلاد العربية يوضح المعدلات المهمة

الدولـة	السنة	معدل المواليد بالألف	معدل الوفيات بالألف	معدل النمو الطبيعي	نسبة وفيات الرضع	الأجـل المتوقع لدى الميلاد	معدل الخصب الكلي(١)
المملكة الأردنية الهاشمية	١٩٨٤	٤١ر٥	٦ر٦	٣٤ر٩	٦٣ر٠	٦٦ر٦	٧ر٢
دولة الامارات العربية المتحدة	١٩٨٦	٤٦ر٣	٦ر٦	٣٩ر٧	٤٨ر٩	٦٦ر٨	٧ر٥
دولة البحرين	١٩٨٤	٣٢ر٤	٩ر٥	٢٣ر٠			٤ر٧
الجمهورية التونسية	١٩٨٦	٣١ر١	٦ر٤	٢٤ر٧	٨٥ر٣	٦٠ر٠	
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية	١٩٨٥	٣٩ر٥	٨ر٤	٣١ر١	٩٣ر٥	٦٠ر٠	
جمهورية جيبوتي	١٩٧٠	٤٢ر٠	٧ر٦	٣٤ر٤			
المملكة العربية السعودية	١٩٨٦	٣٧ر٣	١٢ر٨	٢٤ر٥	١٠٨ر٦	٥٦ر٠	٧ر٢
جمهورية السودان الديمقراطية	٨٠/١٩٨٥	٤٥ر٩	١٧ر٤	٢٨ر٥	١١٧ر٨	٤٧ر٨	
الجمهورية العربية السورية	١٩٨٦	٤٢ر٤	٨ر٣	٣٤ر١	٥١ر٣	٦٦ر١	٧ر١
جمهورية الصومال الديمقراطية	٨٠/١٩٨٥	٤٧ر٩	٢٣ر٣	٢٤ر٦	١٥٤ر٩	٤٠ر٩	
الجمهورية العراقية	١٩٨٦	٤٥ر١	٨ر٦	٣٦ر٥	٦٣ر٣	٦٢ر٧	٧ر١
سلطنة عُمان	١٩٨٤	٤٧ر٥	١٥ر٣	٣٢ر٢	١١٦ر٤	٥٠ر٧	٧ر١
فلسطـين	١٩٨٢	٤٤ر٥	١٣ر٢	٣١ر٣			
دولـة قطـر	١٩٨٦	٣٣ر١	٤ر٨	٢٨ر٣	٥١ر٥	٦٦ر١	٤ر٩
دولة الكويت	١٩٨٤	٣٤ر٧	٢ر٨	٣١ر٩	١٨ر٥	٦٩ر٠	٦ر٦
الجمهورية اللبنانية	١٩٨٤	٣٠ر٤	٧ر٧	٢٢ر٧	٤٩ر٢	٦٦ر٨	٣ر٨
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية	٨٠/١٩٨٥	٤٥ر٦	١٠ر٩	٣٤ر٧	٩٦ر٥	٥٨ر٣	
جمهورية مصر العربية	١٩٨٦	٣٩ر٣	٨ر٧	٣٠ر٦	٧١ر٢	٦٠ر٥	٥ر٣
المملكـة المغربية	٨٠/١٩٨٥	٣٦ر٤	١١ر٣	٢٥ر١	٩٦ر٥	٥٨ر٣	
الجمهورية الاسلامية الموريتانية	٨٠/١٩٨٥	٥٠ر١	٢٠ر٩	٢٩ر٢	١٣٧ر٣	٤٣ر٥	
الجمهورية العربية اليمنية	١٩٨٦	٤٩ر١	٢٠ر٨	٢٨ر٣	١٤٠ر٢	٤٧ر٣	٧ر٥
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية	١٩٨٦	٤٩ر٧	١٧ر٨	٣١ر٩	١٣٣ر٣	٤٩	٧ر٥

، نقلا عن المجموعة الاحصائية العربية الموحدة
العدد الثاني نيسان/ابريل ١٩٨٩
جامعة الدول العربية
الأمانة العامة

الأمم المتحدة
اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا

١ ـ معدل الخصب الكلي محسوب هنا للمرأة الواحدة وهو غير معدل الخصب العـام الذي سلف شرحـه وسياتي شـرح الخصب الكلي ٠



وارتفاع معدل الوفيات يشير الى عدم تقدم الأمور الصحية والاقتصادية في البلاد تقدماً كافياً وقد انخفضت معدلات الوفيات في البلاد العربية انخفاضاً ملحوظاً نظراً لتقدم الأحوال الصحية فيها ٠

ولكن معدل الوفيات هذا غير دقيق الدلالة ٠ فهو يشير الى عدد الأموات عامة ويُغفل عاملاً مهماً في الوفيات وهو اختلاف الأعمار ، ولذلك لا يشف تماماً عن الأحوال الصحية في البلاد ٠ ومن المعلوم أن معدل الوفيات في السجن مثلاً أقل منه في المستشفى أو في ملجأ العجزة مع أن أحوال المستشفى أو الملجأ أجود وأكرم من أحوال السجن ٠ وقد يكون الشعبان متقاربين في العادات والنظم الاجتماعية وفي أحوال الاقليم، ومع ذلك يختلف معدل الوفيات عندهما لاختلاف توزع الأعمار٠

ولذلك تحسب معدلات الوفيات في فئات الأعمار اذا اعتبر عدد الفئة في منتصف السنة أو نسب الوفيات اذا اعتبر عدد الفئة في أول السنة بحسب مقتضيات الحساب ويوازن بينها عند اللزوم فهي أصح شفوفاً عن الأحوال الصحية في المجتمعات ٠

ويمكن حساب نسب الوفيات لكل سنة من سني العمر وعدد الوفيات فيها أيضاً ورسم الخط البياني الدال على اختلاف نسب الوفيات مع الأعمار وكذلك الخط البياني الدال على اختلاف عدد الوفيات في الأعمار ٠

أما شكل المنحني الأول فهو قريب من حرف اللام العربي ، وأما شكل المنحني الآخر فهو بعد هبوطه يرتفع بأناة حتى يبلغ نهايته العظمى في سن ندعوها بالعمر النظامي أو الطبيعي أو المعتاد ، تكون الوفيات فيه أكثر منها في الأعمار التي بعده والتي قبله بصرف النظر عن وفيات الرضع ٠

وفيات الرضع

هي بالاصطلاح الوفيات التي تقع بين المواليد الأحياء قبل أن يتموا عامهم الأول ٠ فالرضيع هنا بالاصطلاح من لم يبلغ تمام العام الأول مع أن مدة الرضاعة عامان ٠

ولحساب نسب وفيات الرضع طرق تتفاوت دقة وضبطاً أبسطها وأهمها ما يأتي :



١ ـ يحسب عدد وفيات الرضع في السنة التقويمية وينسب الى عدد الرضع الذين أعمارهم أقل من سنة أو الى عدد المواليد الأحياء في تلك السنة ٠

$$نـا = \frac{و}{ض} \quad أو \quad نـا = \frac{و}{مو}$$

ولكن هذه الطريقة تنقد بأن الوفيات الحاصلة بين الرضع الذين تقع أعمارهم دون السنة الأولى قد تصيب الرضع المولودين في السنة الفائتة ٠

٢ ـ لذلك قد تنسب وفيات الرضع في السنة التقويمية الى متوسط المواليد في هذه السنة وفي السنة التي قبلها ٠

$$نـا = \frac{٢ و}{مو + مو'}$$

٣ ـ لكن الوفيات التي تصيب مواليد السنة المحسوبة فيها النسبة أكثر من الوفيات التي تصيب مواليد السنة الفائتة ٠

لذلك يعدل الدستور السابق على الشكل التالي :

$$نـا = \frac{و}{٧٢ر٠ \ مو + ٢٨ر٠ \ مو'}$$

باعتبار مو' مواليد السنة الفائتة ٠

٤ ـ يسب الى عدد المواليد في السنة التقويمية مو عدد من يتوفى منهم في السنة نفسها وليكن و ثم في في السنة التالية وليكن و' ٠

$$أي \quad نـا = \frac{و + و'}{مـو}$$

وكما يأتي الاختلاف من طريقة الحساب كذلك يأتي من تفاوت نظم التشريع المتعلق بتسجيل المواليد ومن تفاوت الاعتبارات حول تعريف المولود الحي والمولود الميت ٠ وقد تقدم شرح هذا التفاوت عند بحث الولادات ٠

ولكن هذا التفاوت يُدخِل في الحساب فروقاً ضئيلة لا تمنع من المقايسة والموازنة بوجه عام ٠

ومن المعلوم أن وفيات الرضع في البلاد العربية مرتفعة • ولا بد من تعهد هذا الجانب الغض من بنياننا القومي • ومن الضروري اقامة تشريع يكفل العناية بالأمهات الحوامل ويسهل العيادات الطبية لهن ويجعل كل ولادة لا تقع الا في مستشفى أو باشراف طبيب أو قابلة مختصة • هذا ، ولا شك أن وفيات الرضع ضرب من التضييع في رأس المال الانساني ان جاز هذا التعبير • وفيه ارهاق لصحة الأمهات لا طائل فيه ولا نفع ، عدا الأحزان التي تساور نفوس الأهل عند وفاة وليدهم وعدا النفقات التي تصرف فتضيع سدى وتذهب عبثاً •

واذا كان الانسان مسؤولا عن عمره الى حد فان الرضيع أو الطفل يبدو وكأنه وضع زمام حياته بين يدي المجتمع الذي وفد اليه • فالمجتمع مسؤول عنه ، وعلى المجتمع تقع تبعة هلاكه في الغالب حين يموت • ذلك أن المجتمع بتنظيم الأمور الصحية فيه وحماية الأمهات الحوامل والأطفال يستطيع أن ينقص نقصاً كبيراً الوفيات التي تقع بين الرضع والأطفال • حتى ان مدى نقصان وفيات الرضع يستطيع أن يشف عن مقدار تقدم المجتمع •

ان وفيات الرضع مرتفعة نسبياً في الحال الطبيعية لدى مختلف المجتمعات ، وكأن كل انتاج أياً كان نوعه مادياً أوحيوياً لا بد من أن يلازمه نصيب من التلف • بيد أن تقدم الحضارة يؤدي الى نقصان هذا التلف الى أصغر حد ممكن • واذا كان الأمر كذلك فلا عجب اذا وجدنا أن لكل مجتمع نسبة لوفيات الرضع مرتبطة بدرجة تطوره وصالحة لكي تكون دليلاً على هذا التطور • فهي بهذا الاعتبار معيار عددي يُستند اليه أحياناً في الدراسات الاجتماعية لبيان مدى تقدم المجتمع عامة ، لا من الوجهة الصحية وحدها ، لأن الأمور الصحية والاجتماعية والاقتصادية وأمثالها متشابكة متضامنة متساندة • وقد ظهر من الدراسات الاجتماعية الحديثة أن هذا الجانب الغض من الأسرة يتلقى الى مدى كبير آثار التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية العامة • فوفيات الرضع قسم كبير منها تكون أسبابه اجتماعية وليست قائمة في بنية الرضيع أو الطفل •

على أن بعض الأسباب قد تكون فيزيولوجية • من هذه اختلاف الأبوين في الزمرة الدموية •



الزمرة الدموية Rh أو العامل بندر

من المعروف أن الدماء تصنف في أربع زمر أساسية وهي O , AB , B , A وأنها على ذلك تصنف في زمر أخرى مثل M , N , P , H , G . ثم كشف العالمان الأمريكيان وينر Wiener وبترز Peters سنة ١٩٤٠ في دم القرد المسمى بندراً Macacus Rhesus ، ثم في الانسان ، هذه الزمرة التي دعيت بأول اسم القرد • وهي منتشرة بين الناس بنسبة ٨٠ ـ ٨٥ بالمائة واختلاف الزوجين في هذه الزمرة بأن يكون دم الرجل يحوي هذا العامل على حين دم زوجته خلو منه داع الى قلة النسل ، اذ يولد للزوجين الولد البكر بسلام ، ولكن في خلال الحمل يتكون في دم الأم الجسم الضدي أو الداحرة التي تؤثر في دم الجنين الثاني أو الثالث أو غيره اذا ورثوا من أبيهم العامل Rh ويستدعي ذلك اسقاطهم أو اصابتهم بفقر الدم وهلاكهم بعد الولادة اذا لم تغسل دماؤهم وتبدل ، ولذلك ينصح للمقبلين على الزواج أن يحللا دماءهما ويعرفا الزمرة التي ينتسب كلاهما اليها • حتى اذا رغبا في الذرية عرفا مصيرها ان اختلفا في هذه الزمرة الدموية •

على أن كثرة شيوع هذه الزمرة بين الناس كما قدمنا يقلل احتمال تفاوت الزوجين فيها ويضعف من أهميتها في النطاق الاجتماعي العام ، على حين يبقى أثرها من الناحية الفردية •

العوامل المؤثرة في الوفيات

يؤثر في الوفيات عوامل متفاوتة بعضها داخلي وآخر خارجي . أما الداخلي فكالعمر والجنس •

العوامل الداخلية

العمر ـ ان وفيات الرضع تكون عادة مرتفعة فاذا تجاوز الوليد السنة الأولى قلّ تعرضه للوفاة وزاد احتمال تعميره اذ تهبط نسبة الوفيات هبوطاً سريعاً في السنة الثانية والثالثة وهلم جرا ، ما عدا بعض البلدان النامية ولا سيما التي حول البحر



الأبيض المتوسط ومنهــا البلاد العربيــة حيث تســتمر وفيــات الأطفال الصغــار مرتفعة في السنة الثانية والثالثة والرابعة ثم تنخفض انخفاضاً شديداً · وقد نقصت وفيات الاطفات بفضل المضادات الحيويــة وتقدم العلاج · وما وقع منها يعود أكثره الى طــوارىء تحــدث عن الطيش وعــن اغفال أهليهم لهم · ثم اذا كبروا كدهم الجهد وتداولتهــم الاحوال الاجتماعيــة والاقتصادية وهموم مكاسبهم ومقتضيات أعمالهم · فــاذا بلغوا عِـتياً من العمــر تداعى الجسم وناله النصب والاجهــاد · وربما كان تداعي بنيــة الجسم بالكِـبَر أشــد تاثــيراً في المسنــين من العوامــل الخارجية · بل ذلك التداعي يكون سبباً لزيادة تاثير العوامل الخارجية فيه ·

الجنس ـ ثم ان نسبة الوفيات بين الاناث أقل منها بين الذكور عامة في جميع الأعمار اذا تساوت الأحوال الاجتماعيــة التي ترعى الذكور والاناث جميعاً عــلى السواء وقد سبقت الاشارة الى ذلك أمــا اذا كان المجتمع أقل رعاية لأحد الجنسين زادت وفياته على الجنس الآخر · ومن المعروف أن نسبة الوفيــات بين الاناث في الهند أعلى منها بين الذكور وذلك لزواج البنات المبكــر وتعرضهن للحمل المتكــرر وما قد يرافق الولادة من حمى النفاس · كذلك تتدخل بعض العادات التي تحمــل الأرامل على احــراق أنفسهن بعد وفــاة بعولتهن وان كانت هذه العادات صائــرة الى النقصان والتلاشي ·

العوامــل الخارجيــة

أما العوامل الخارجية فهي متعددة ونحن نريــد أن نتعقب أهمهــا باستثنــاء الأوبئة والحروب ·

الحــال المدنيــة ـ لقد تبــين مــن الاحصــاء أن الوفيــات بــين المتزوجــين أقــل منهــا بــين العــزاب في الأعمــار أنفسها · ذلك أن السعــادة والرضى في الزواج يهيئان حياة سليمــة وصحيــة · فالزواج أكثر ملاءمــة للانســان جسماً وعقلاً من العزوبة · ولما كان الانسان يُقبل على الزواج طوعاً واختياراً فربما يكون الصدوف عنه دلالة على ضعف أو اضطراب أو قلة التكيف في بعض الأحيان ·



ثم ان الوفيات بين الأرامل والمطلقين أكثر منها بين المتزوجين بل أكثر منها بين العزاب بوجه العموم • وارتفاع الوفيات هذا قد يُعزى الى سوء انتخاب القرين من الوجهة الصحية في البداية اذ لا بد من تأثر القرين بقرينه صحياً ، أو يُعزى الى مشاق الترمل • أما المطلقون فان قلة التلاؤم في الزواج وقلة الاستقرار بعده أمران منغصان يتهددان عيشهم ويقوضانه •

هذا وان تلك نتائج احصائية تصح في البلاد المتقدمة التي تحمل الدولة فيها القسط الأوفر من أعباء الأسر • وليس في بلادنا احصاء في هذا المجال ، وتتحمل الأسر أنفسها مختلف الأعباء وشتى الهموم في اعالة أبنائها وتنشئتهم كما تتحمل مسؤولية صحتهم ونموهم •

المناخ ـ وقد يكون للمناخ تأثير في الوفاة ولكن يصعب عزل أثره وحده بين العوامل المحيطة الأخرى • فقد تتفاوت البلدان مناخاً وتتشابه في انخفاض معدل الوفيات كاسترالية ونيوزيلندة وجنوبي افريقية وكندا حيث تشتد حمارّة القيظ في بعضها كما تشتد صبارّة البرد في بعضها الآخر • وقد أصبح الانسان يستطيع أن يتغلب على سوء المناخ اذا كان غير صحي لانتشار بعض الأوبئة فيه أو الحشرات أو الطفيليات • ولا شك أن للاقليم أثراً في تفشي بعض الأمراض كالبُرَداء والحمى الصفراء اذ يساعد ارتفاع الحرارة ووجود السباخ على انتشار جراثيمهما • وقلما ينتشر الخناق والحمى القرمزية في المناطق الاستوائية • ثم ان أمراض جهاز التنفس لا تنتشر في طقس مشمس جاف • أما انتشار السل في بعض المناطق الجافة المشمسة فمرده الى سوء التغذية والفقر والاستعمار • هذا وان الزكام والانفلونزا مرضان عامان في مختلف البلدان وان كانا في البلاد الرطبة أكثر انشاراً وأشد فتكاً •

الفصول ـ وللفصول آثار في معدل الوفيات واضحة • وقد وجد نهاية عظمى للوفيات بأوربة في غضون كانون الثاني وشباط ، وبحوض البحر المتوسط في تموز وآب • ولكن تقدم الصحة ولا سيما الصحة الغذائية واستعمال المضادات الحيوية نقصت من استفحال الأمراض التي يتسبب بها اختلاف الفصول كالاسهالات وأمراض التنفس وترتب على ذلك انخفاض في الوفيات الناجمة عنها •



الريف والحضر ــ لقد مكننا الاحصاء الحيوي من المقايسة بين معدلات الوفيات في المدينة وفي الريف • ولقد كان معدل الوفيات لأمد قريب في الريف أقل منه في المدن • بيد أن الأمر قد انقلب في عقود السنين الثلاثة الأخيرة فأصبح في المدن أقل منه في الأرياف لأعمار معينة •

لقد تغيرت حال المدن في العصر الحاضر عنها في غابر الدهر • فقد تقدم العمران واتسعت الشوارع وزادت الخدمات الصحية وتحسنت مرافق الحياة وجُرّت المياه الى البيوت وتيسرت التدفئة والتكييف ، كما انتشرت النظافة وأشرفت الحكومات على تأمين السلع الضرورية من أغذية وملابس ومساكن الا أنه ما يزال في المدن أحياناً مجال للتحسين في أحوال المصانع ولهاثها الداكن المؤذي ومحروقات مطايا المواصلات النافثة كالسيارات والباصات • وما يزال الدخان والضجيج والازدحام يرهق الحياة في المدن •

ولئن استطاع الطب الحديث والتغذية الجيدة أن ينقصا ضراوة الأمراض الجرثومية في المدن فان اكتظاظ المواصلات زادت في سرعة انتشار الأوبئة بين أهل المدن ان وقعت كما جعلت طوارىء الاصطدام تستفحل استفحالاً خطيراً •

ان الريف في البلاد العربية جميل ولكنه ما يزال متأخراً بالنسبة الى المدينة على الرغم من جودة مُناخه وعَذَاوة هوائه وجمال آفاقه •

الازدحام ــ ان المدن الكبيرة من أخص صفاتها الازدحام بالنسبة الى الأرياف حيث تنبسط الحقول وتشتبك الغابات • ولقد أخذت الهيئات المسؤولة في الدول تبذل جهودها في تنظيم المساكن الجديدة بالمدينة بحيث تتوافر فيها الشرائط الصحية وتحيط بها الحدائق كما تضع الخطط المناسبة لانشاء المدارس والحوانيت والمخازن في أفضل الأحوال المريحة • ومع ذلك فان الصحة لا تتعلق بالآجرّ وبالملاط ولا بالخدمة الصحية بل تتعلق أيضاً بعادات الناس وهي تتحكم فيها التربية والذكاء وتتعلق أيضاً بالغذاء وبمستوى المعيشة وترتبط ارتباطاً وثيقاً بمقدار الدخل ولو أن هذا الارتباط أخذت تُخَفّف منه قوانين تأميم الطب والضمان الاجتماعي الايجابية • هذا وقد غدت الدول العربية النفطية في طليعة البلدان اهتماماً بأحوال شعبها الصحية • على أن ارتباط الأمور بالدخل يدعونا الى تأمل علاقة الوفيات بالحرفة وبالأمور الاقتصادية •

الحرفة ـ ان نوع العمل يؤثر في الوفيات • وقد أجريت احصاءات لبيان مدى هـذا التأثير • ولا شك أن بعض الحرف مضر بالصحة كتعدين الزئبق والقصدير والعمل في أعماق المناجم. بيد أن هذا لا يزيد وحده في معدل الوفيات بين هؤلاء العمال، لأن العوامل مشتبكة • فكثيراً ما يُختار الأقوياء لأمثال تلك الأعمال • ولذلك لا بد من تَصَفُّح تأثير الحرف من مختلف الوجوه •

تؤثر الحرف أولاً من حيث اصطفاء المحترفين لأن بعضها يقتضي قوة في الجسم ، ولا يمكن احترافها الا اذا كان الراغب ذا نصيب من القوة لخطورتها وتعرض صاحبها لاختلاف الأجواء كالطيارين وسائقي القاطرات أو لقسوتها ومشقة العمل فيها كعمال المناجم والحمالين ، على حين لا تقتضي حرف أخرى جهداً جاهداً ولا نصباً ناصباً ، ولذلك تغدو موئل الضعفاء من الناس ومحط ركابهم كالعمل في الدواوين والادارة ، وقد وجدت نسبة الوفيات بين القائمين بهذه الأعمال عالية نسبياً •

وتؤثر الحرف ثانياً من حيث نوع العمل المطلوب فقد يكون شاقاً مرهقاً ، ومن حيث جو العمل كأعماق المناجم وأجواء بعض مصانع النسيج التي تتطلب حرارة رطبة وحلج القطن الذي يثير النفاية والغبار فيصلان الى الرئتين وصقل المعادن الذي يطير النثار الدقيق فيعلق بمجاري التنفس وتعدين الزئبق ذي الأبخرة السامة وصناعة الأصبغة التي تنشر بعض الروائح السيئة • وقد تجعل الحرفة نمط الحياة مضطرباً ، ينبغي مثلاً لِنُدُل الفنادق أن يستجيبوا لرغبات المسافرين بعضهم يوقظ بكرة وبعضهم يثوب في الهزيع الأخير من الليل ، والحراس ينامون النهار ويسهرون الليل ونوم الليل أروح من نوم النهار أو تدفع الحرفة الى اعتياد لون من المعيشة سيء كعمال المقاهي والملاهي يعتادون المسكرات •

وتؤثر الحرف ثالثاً عن طريق مستوى العيش الذي تُخوِّله أصحابها أي عن طريق مقدار الدخل ، ولا شك أن صاحب المصرف والتاجر والموظف والطبيب والمحامي والعامل والأجير الخ لكل منهم مستوى خاص من العيش في خارج الحرفة سواء في داخل البيت (من جهة المسكن ، والغذاء ، واللباس) أو في الحياة العامة (من جهة العادات الاجتماعية المختلفة والعناية المتفاوتة بالتداوي والقدرة على

التداوي) • على أن هذا التفاوت أصبح يتضاءل بتيسير الدولة سبل التداوي لأبنائها • وهذا ما هو حاصل في البلاد العربية النفطية • والخلاصة أن تقدم الطب والشؤون الصحية من جهة وازدياد الثروة العامة من جهة ثانية هما لا شك متضامنان متداخلان •

الأجل المتوقع

في علم السكان مصطلح مهم يتلمس الحياة والموت معاً مشتبكين وهو الأجل المتوقع • ويقال له أيضاً العمر المتوقع اذا نظرنا الى مدى الحياة المتوسط التي يعيشها أفراد جيل من الأجيال • وهو معيار جيد يُعتمد في علم السكان وفي علم الاجتماع وفي البحوث الاقتصادية وفي شركات التأمين على الحياة وفي تعرّف مستوى المعيشة في المجتمع • وأهميته ترجع الى أنه يلخص حياة جيل كامل من حيث مدة هذه الحياة موزعة عليهم نظرياً وحسابياً بالتساوي • الجيل في اللغة أهل الزمان الواحد ولكنه هنا بالاصطلاح جملة الأفراد المولودين في سنة تقويمية واحدة (١ كانون الثاني/يناير – ٣١ كانون الأول/ديسمبر) أو في فترة زمنية مسمّاة واحدة • وقد يُطلق على الجيل في علم السكان لفظ الفوج بأن يقال مثلاً فوج المواليد أو جيل المواليد وهم الذين ولدوا في سنة واحدة •

فاذا نظرنا الى جيل من المواليد في سنة من السنين وتعقبنا عدد من يبقى منهم على قيد الحياة سنة بعد سنة وجمعنا الأعمار المختلفة التي عاشوها حتى بلغوا آجالهم تِباعاً وقسمنا مجموع الأعمار على عدد أفراد الجيل في البداية كان خارج القسمة هو الأجل المتوقع ، كأننا تصورنا في الخيال أنهم جميعاً عاشوا وسطياً هذا العمر على التساوي • وحسابه يسير وهو نظري وواقعي معاً : نظري لأنه يعتمد على الغالب عدد أفراد الجيل عشرة آلاف أو مائة ألف ، وواقعي لأنه يُطبّق على هؤلاء مائة الألف أو عشرة الآلاف نسب الوفيات الجارية في المجتمع نفسه في كل عمر من الأعمار المتتالية إبان فترة زمنية محددة حتى ينقرض الجيل كله احصائياً بهذا التطبيق •

وهذا الأجل المتوقع أو العمر المتوقع هو غير العمر المتوسط وغير العمر الوسيط وللتفريق بين هذه المصطلحات نضرب مثلاً بسيطاً :



خمس سيارات خرجت من مصنع واحد في سنين متفرقة وهي ١٩٦٠ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧٥ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٥ • فاذا حسبنا أعمار هذه السيارات عام ١٩٩٠ وهي مازالت صالحة للاستعمال كانت على التوالي ٣٠ ، ٢٠ ، ١٥ ، ١٠ ، ٥ فالعمر المتوسط لها عام ١٩٩٠ هو ١٦ سنة •

أما العمر الوسيط فهو ١٥ في الترتيب لأن قبله رقمين وبعده رقمين فهو يقسم المجموعة قسمين متساويين في العددوأما الأجل المتوقع أو العمر المتوقع فلا يحسب لهذه السيارات التي صنعت فيسنين متفرقة أي هي من أجيال مختلفة وانما يحسب لجملة من السيارات صنعتفي سنة من السنين ، ولتكن سنة ١٩٩٠ ، أي هي من جيل واحد • نفرض عددالسيارات خمساً أيضاً اشتغلت جميعاً ثم تعطلت نهائياً على التوالي بعد ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٥ ، ٤٠ سنة فالأجل المتوقع لها عند خروجها من المصنع مجموع السنوات التي اشتغلت ابانها حتى تعطلها مقسوماً على عددها أي $\frac{١٢٥}{٥}$ = ٢٥ سنة •

ويجوز أن يقال لهذا المصطلح الآجل المتوسط أيضاً لأنه المتوسط الحسابي للآجال : آجال السيارات أو آجال أفرادالجيل الانساني على الرغم من التباين الشاسع بين السلع المصنوعة •• والانسان •

هذا وكلما جادت صناعة السيارات والعناية بها وحسن تعهدها تطاول أمد استعمالها وابتعد أجلها المتوقع وبالتمثيل أيضاً كلما حسنت الحياة الاجتماعية والصحية والاقتصادية وغيرها في المجتمعابتعد الأجل المتوقع أي تطاول العمر المتوقع •

واذا تطاول هذا العمر المتوقع اتسعت للفرد وسطياً فسحة الحياة للعمل والانتاج والاتقان في مختلف المجالات • ومن المعلوم أن الاتقان والانتاج والعمل أساس التقدم الاجتماعي • ولذلك كان لهذا المصطلح دلالة عميقة وفسيحة في علم الاجتماع •

وللأجل المتوقع علاقة بنسبة وفيات الرضع فكلما انخفضت هذه الوفيات طال الأجل • وكان الأجل المتوقع منخفضاً في البلاد النامية قبل كشف المضادات الحيوية

(أي الصادّات) ولكنه ارتفع ارتفاعـاًواضحاً بعد تحسن الأحوال الصحية وتقدم الشؤون الطبية والعناية بصحة المواليد والرضع والأطفال ٠

ويمكـن أن يحسب الأجـل المتوقع للجيل في كل عمر من الأعمار التي يصـل اليها ولكنه على الأغلب يحسب للمواليدجملة كما يحسب للذكور والاناث كل على حدة ٠ ومن الملاحظ أن الخط البياني الذي يدل على اختلاف الأجل المتوقع باختلاف العمر يبدأ منذ زمن الولادة ثم يرتفع أحياناً ليبلغ الذروة بعد مرور السنة الأولى على المولود ٠ ذلك أن الوليد الانساني يحتـاج غب الـولادة الى الرّأم والتعهد والعون اذ تقاوم وظائفه الحيوية تغـير المحيط الخارجي الذي وفد عليه ٠ وأكثر ما يقع من وفيات الرضع والأطفال في العام الأول وبعده من قلة العناية والغفلة ٠

هذا ولا يخفى أن هـذه اعتبارات احصائية تفيد في تعرف أحـوال المجتمعات وتبين خصائصها من الوجهة الكمية والعددية كما تفيد في الموازنة بينها ٠

أما العمر الحقيقي الذي وهبه الله لكل فرد من الأفراد فعلمه عنده جلّ وعلا (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاءـ آية الكرسي) ٠ وقـد كلّفنـا الدين الحنيف العناية بأنفسنا وأهلينا ومجتمعنا ٠

الدليل الحيـوي ومعـدل الخصب الكلي ومعدل التكاثر

ان معدل النمو الطبيعي أو الزيادة الطبيعية وهو الفرق بـين معدل المواليـد ومعدل الوفيات يعطي فكرة بسيطة عـنزيادة السكان ٠ ولكنه غير دقيق الدلالة ٠ فمعدل النمو هذا سـواء اذا كـان معدلالمواليد ٤٠ ومعدل الوفيات ٣٠ أو كانا ٣٠ ، ٢٠ أو ٢٠ ، ١٠ ، اذ هو يساوي في الأحوال الثلاث ١٠ مع أن الفرق كبير بين هذه الأحوال لأن الزيادة نفسها حاصلة في الحال الأخيرة مع استهلاك أقل في الأرواح وصرف أقل في الولادات ٠ ولهذا يفضل في بعض الأحيان حساب الدليل الحيوي على معدل النمو الطبيعي وهو

$$ح = \frac{مو}{و} \times ١٠٠$$

حيث ح الدليل الحيوي ، مو عدد المواليد، و عدد الوفيات في نفس المدة الزمنية.



ويمكن بسهولة التعويض عن عدد المواليد و عدد الوفيات بمعدليهما ٠

فالدليل الحيوي يشير الى عدد المواليد الأحياء الحاصلة مقابل مائـة وفاة في السكان ٠ وهو دليل بسيط ومهم اذ يشير الى القوة الحيوية للشعب ٠ فاذا حسبناه في الأحوال السابقة الثلاث كان على التوالي ١٣٣ ، ١٥٠ ، ٢٠٠ ، وظهر الفـرق واضحـاً ٠

ثم ان معدل النمـو الطبيعي أيضاً لا يشف عن حقيقة ازدياد الشعب أو ثبوته أو نقصانـه ٠

فقد يكون معدل المواليد أكبر من معدل الوفيات ويكون الشعب مع ذلك متناقصاً. لايضاح ذلك نتصور مجتمعاً فيه خمسة ملايين امرأة (آنسة وسيدة) بين سن الخامسة عشرة وسن الثلاثين ٠ وفيـه في السنة نفسها أربعة ملايين و ٧٠٠ ألف بنت دون الخامسة عشرة ٠ فلو فرضنا أن هـؤلاء البنات دون الخامسة عشرة بلغن جميعاً سن الزواج ولم تهلك واحدة منهن كان مـن المحتم نقصان عدد المواليد في المستقبل بعد مضي خمس عشرة سنة لأن عددهن أقل من خمسة ملايين ٠ وبهـذا يتناقص المجتمع على الرغم من ارباء معدل المواليـد على معدل الوفيات في هذا المجتمع ٠

وبسبب قلة الكفاية في معدل النمو الطبيعي يعمد العلماء الى حقيقة التوالد الانثوي أي عدد ما تلده الأمهات من بنات يحلُلن محلهن حين يكبَـرن فيغدون أمهات أيضاً ٠ فاذا كانت الأم تلد وسطياً بنتـاً تحل محلها باعتبار الظروف الجاريـة في المجتمع من زواج ووفيات اعتبر المجتمع ثابتاً في العدد لا يزيـد ولا ينقص واذا كانت الأم تلد أكثر من بنت واحدة كان المجتمع متزايداً واذا كانت الأم تلد أقل من بنت وسطياً كان المجتمع متناقصاً وذلك بصرف النظر عن معدلي المواليد والوفيات.

ولحساب ذلك يلجأ الى تعرُّف معدلات الخصب العُمْرية أي عـدد المواليـد ذكوراً واناثاً لفئات أعمار الأمهات كما في الجدول الآتي لدولة الأمـارات العربية المتحدة عام ١٩٨٦ بين المواطنات ٠



فئات الأعمار	معدل الخصب في الألف
١٥ ـ ١٩	١٥٨ر٨
٢٠ ـ ٢٤	٣٦١ر٢
٢٥ ـ ٢٩	٣٨٢ر٨
٣٠ ـ ٣٤	٣٠٢ر٢
٣٥ ـ ٣٩	١٩١ر٠
٤٠ ـ ٤٥	٨١ر٤
٤٥ ـ ٤٩	٢٩ر٤
	١٥٠٦ر٨

ويلاحظ أن معدل الخصب العمري يبلغ أوجه بين نساء دولة الامارات في الفئة العمرية (٢٥ ـ ٢٩) ، ولما كان مدى فئة العمر خمس سنوات لزم ضرب المجموع بالعدد (٥) فالحاصل ٧٥٣٤ ،ومعناه أن كل ألف والدة بين سن الخامسة عشرة ونهاية التاسعة والأربعين يولد لهن ٧٥٣٤ مولوداً ذكراً وأنثى ٠ فالوالدة الواحدة يولد لها وسطياً ٥ر٧ من الذرية ٠ وهذا الرقم الأخير يُدعى معدل الخصب الكلي ٠ وبتعبير بسيط كل عشر أمهات يولد لهن وسطياً ٧٥ مولوداً ذكراً وأنثى ٠ ولما كانت نسبة الذكورة في مجتمع الامارات بين المواليد هو ١٠٥ صبيان الى ١٠٠ بنت نضرب معدل الخصب الكلي وهو ٥ر٧ بنسبة الاناث في مجموع المواليد

وهو $\frac{١٠٠}{٢٠٥}$ فيكون الجداء ٣ر٦٦ وهو معدل التكاثر ، ويوصف فيقال له معدل

التكاثر الصافي اذا دخل في حسابه نسبة تعمير الأمهات ٠ ومعناه هنا في الامارات المتحدة أن الأم في حياتها الزوجية ومرحلة قدرتها على الانسال يولد لها أكثر من ثلاث بنات يتبوأن مكانها في الأمومة حين يَكْبَرْنَ ويغدون أمهات ٠ فمجتمع الامارات بهذا الاعتبار مجتمع متزايد تزايداً واضحاً ٠



الهجـــرة

هي انتقال المرء من أرض تدعى المكان الأصلي أو مكان المغادرة الى أخـرى تدعى المكان المقصود أو مكـان الوصول بشرط أن يتجاوز الانتقـال على الأقـل حدود منطقة ادارية • ولا تنطبق الهجرة بهذا الاعتبار في الغالب على من ليس لـه مُقام (أي محل اقامة) ثابت • فلا يدخل فيها البدو ولا أشباه البدو في أكثر الأقطار. ويفرق أحياناً بين الهجرة والنقلة الوقتية أو الرحلة الوقتية باعتماد معيارين وهما طول الغيبة عن المكان الأصلي ومدة الاقامة بالمكان المقصود •

ويدعى المهاجـر من موطنه الأصلي ظاعناً ونازحاً كمـا يدعى المهاجـر الى موطنه الجديد وافداً ومغترباً • ويوصف بهذا الوصف من أجمع أمره على مغادرة وطنه إما أبداً وإما الى أمد غير محـدود يتجاوز على الأقل السنة •

ويجري التفريق في الدولة ذات السيادة بين الهجرة الداخلية حين يكون المكـان الأصلي والمكان المقصود واقعين في داخل الدولة ، والهجـرة الخارجية أو الهجـرة الدولية التي تجتاز حدود الدولة •

تؤثر حركة الهجرة في عدد السكان • مثَلُها في ذلك مثل حركة السكان الطبيعية أو نموهم الطبيعي • وتقاس بصافي الهجرة في المنطقـة أو الدولة وهو الفـرق بين الداخلين الوافدين اليهـا والخارجين الظاعنين عنهـا • فـاذا زاد الداخلـون على الخارجين دعيت الزيـادة فيض الهجـرة واذا نقصوا عنهـم دعي النقص غيض الهجرة • ويمثل مجموع الداخلين والخارجين حجم الهجرة •

وثمة هجـرة اختيارية تتم برغبـة الفـرد واختياره فـاذا حملت الأشخاص منفردين كالعمال مثلا دعيت بالهجرة الفردية • وقـد تحمـل أسراً برمتهـا فتلك هجرات الأسر • وبعضها هجرات تبعية أي تابعة لهجرة رب الأسرة ولا سيما هجـرة زوجه وأطفاله • أما تنقـل العمال الذي تبتعثه ظـروف العمـل والذي يتعلـق بالسكان العاملين فهو يؤلف هجرة العمل • وقـد ينتقل أحـد القرينين الى موطـن القرين الآخر رغبة في الزواج فتلك هجرة زواج • واذا حصـل الانتقـال عن ترك العمل بسبب التقاعد دعي هجرة تقاعد .



وثمة أيضاً الهجرة الجماعية وهي هجرة منظمة بعض التنظيم يشارك في ركوب متنها زمرة من الأفراد والأسر . وقد تكون هذه الهجرة ضخمة تحدث على الرغم من ارادة سكان الأرض المهاجَر اليها فهي نوع من الغزو وقد يكون هذا الغزو طويل الأمد تقوم به عناصر قليلة العدد فيدعى تسللا .

أما سياسة الهجرة فهي جانب من جوانب السياسة السكانية . وتسن الدول عادة قوانين الهجرة الوافدة اليها فتحدّ بها تيار هذه الهجرة وتنظمه وربما لا تسمح للأجانب بالهجرة الا لمن تصطفيهم لحاجاتها ومآربها فتلك هجرة وافدة اصطفائية.

بحث الهجرة واسع يتعلق بالتاريخ اذ وجدت الهجرة منذ وجد الانسان . وحركات الهجرة التاريخية تملأ صفحات كثيرة من كتب التاريخ . بل نحن العرب المسلمين نؤرخ بالنسبة الى هجرة مُشرقة في تاريخنا . ويتعلق بحث الهجرة بالاقتصاد لأن بين الاقتصاد والهجرة علاقات مشتبكة ، ويتعلق بالسياسة فقد تكون دواعيها وآثارها سياسية ، ويتعلق بعلمي النفس والاجتماع لأن لها أسباباً ونتائج نفسية واجتماعية ، وتتعلق بعلوم أخرى يطول استقصاؤها . وهنالك هجرة للجماد كرؤوس الأموال وللنبات وللحيوان ولا سيما الطير . ولكن هجرة الانسان أهم أنواع التحركات .

ويفرق في الهجرة بين العوامل النابذة التي تدفع الناس الى ترك أوطانهم الأصلية والعوامل الجابذة التي تغريهم بالقدوم الى أوطان أخرى . قد يهاجر المهاجرون لأحوالهم الرديئة في بلادهم وقد تجذبهم في الوقت نفسه مغريات في البلاد الأخرى فالنبذ والجذب يتحكمان في تيار الهجرة . ويهمنا في هذه الدراسة تيارات الهجرة في البلاد العربية ، نلم بها الماماً يسيراً ومفيداً .

يختلف النظر الى الهجرة في البلاد العربية باختلاف موقف الباحث فاذا نظرنا اليها على أنها وطن واحد كانت الهجرة من بعضها الى بعض هجرة داخلية . واذا نظرنا في الدول القائمة فيها اعتبرناها هجرة خارجية ودولية . أما الموقف الأول فيسوغه أن الشعب فيها يكاد يكون واحداً . وقد اختلط بعضه ببعض في غمار التاريخ مكوناً بلغته وثقافته وحضارته وعاداته وماضيه وأمجاده وآلامه وآماله كتلة من البشر متجانسة متماسكة من أرسخ شعوب الدنيا كياناً وأعمقها وجوداً في الأرض وفي السماء .

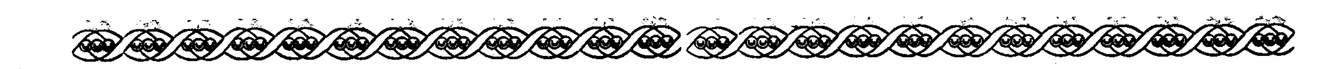


وأما الموقف الثاني وهو الواقعي فيسوّغه أن لكل جزء منها حكومة ذات سيادة على أرضها وعضوية في منظمة الأمم ونظاماً اقتصادياً وسياسياً يختلف عن نظام البلد الآخر • ومع ذلك فالهجرة البشرية على الرغم من تلك الحواجز مستمرة بين تلك الدويلات (التصغير هنا للتحبب) ، لأن اقامة الحواجز لا تستطيع أن تحول دون مجرى الظواهر الطبيعية وأن تمس الجذور القوية الممتدة في باطن تلك البلاد • وكل شيء في تطور الانسانية يحفز على الظن أن تلك الربوع سوف يزيد تقاربها وتضامنها وتعاونها في شتى الميادين • واذا كانت أوربة على اختلاف قومياتها ولغاتها وعاداتها وماضيها تتقارب وتحاول تأليف كتلة ذات كيان متضامن ومتعاون فان البلاد العربية لكي تضمن تقدمها ولحاقها بالموكب الانساني الحضاري لا بد من أن تزيد تقاربها وتآلفها وتعاونها في مجالات شتى وان بقيت السيادة الكاملة منها مصونة ومحصنة •لقد تعرضت البلاد العربية لضروب من الهجرة الخارجية منها واليها ومن المناسب أن نلم ببعض تياراتها القوية •

فلقد حملت الهجرة ألوفاً من أهالي بلاد الشام من سوريين ولبنانيين وأردنيين مع تيار الهجرة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الى الأمريكتين الشمالية والجنوبية وتألقت نجوم كثير من المهاجرين في ميادين الثقافة والأدب والعلم والسياسة والاقتصاد •وأدب المهجر الحديث يذكرنا بأدب الأندلس القديم • ولكن تلك الجاليات العربية شرعت تنصهر في المجتمعات الأجنبية شيئاً فشيئاً وتنسى ذرياتها لغتها الأصلية بالتدريج •

وقد توطن هؤلاء المهاجرون الأماكن التي هاجروا اليها ما عدا فريقاً آثر الاياب الى الأوطان منهم من أخفق في هجرته ولم تفتح أمامه أبواب العمل والرزق فانكفأ الى أهله ومنهم من جمع ثروة ضخمة تكفيه وتكفي أسرته فرجع حامداً نجعته •

ويبدو من ذلك أن لهذه الهجرة بعض المزايا وهي جلب الثروات المجمعة في البلاد الأجنبية • ويضاف أن المهاجرين لا ينسون أهليهم فهم يمدونهم بالمال في الحين بعد الحين • وتلوح هذه الهجرة السكانية مستتبعة لهجرة مالية أضعف منها تجري بعكس اتجاهها ، هذا زيادة على الدعاية الجيدة التي يقوم بها المهاجرون لبلادهم الأصلية •



بيد أن مساوىء الهجرة أكثر من مزاياها اذ انها تلحق بالبلاد نقصاً في القوى الديمغرافية والاقتصادية وغيرها • فالمهاجرون كما سلف شباب أو كهول أي هم في سن العمل والانتاج • فلما هاجروا أضاعت البلاد فيهم رجالا منتجين ، كما تضيع فيهم مجموع النفقات التي استدعتها تربيتهم وتنشئتهم وريعها • ولا تفي بهذه الخسارة ثروتهم المجمعة ان عادوا بها الى البلاد أو أرسلوا نصيباً ضئيلا منها الى أهليهم ، لأنهم في بلد الاغتراب قد اشتغلوا واشتركوا في بعض المشروعات أو استصلحوا الأرض فزادوا رأس المال هناك • ولو لبثوا في بلادهم الأصلية وعملوا فيها لبقيت آثارهم فيها وتضاعفت العوائد والفوائد •

أما الهجرة الى البلاد العربية فكانت آفة عليها • يمكن أن نذكر هنا هجرة الفرنسيين الاستيطانية الى الجزائر والايطاليين الى ليبيا في أثناء الاحتلال ولكن استقلال هذين القطرين لفظ أكثر أفراد تلك الجاليات الأجنبية •

على أن أكبر آفة عرفتها البلاد العربية منذ هجمات التتر والحروب الصليبية هي الهجرة الصهيونية • انها غزو سياسي وعسكري وعرقي تحت ظاهر قومي لأناس ينتسبون الى قوميات مختلفة وتحت ظاهر ديني دين موسى عليه السلام براء منه • وقد تسببت بجلاء القسم الأكبر من الفلسطينيين أهل البلاد الأصليين الى مختلف البلدان وتحت كل نجم ونشأ عن ذلك كوارث معروفة • ولعل في الآفاق العالمية وفي التعاون العربي الحازم ما يبعث على الأمل في احلال السلام وتوطيد العدالة •

والهجرة من البلاد العربية الى البلاد العربية تتبع عاملي الجذب والنبذ بينها حسب المستوى الاقتصادي وفرص العمل. ويجري التيار الغالب في البلاد العربية المحدودة الدخل الى الدول النفطية الغنية كالسعودية ودول الخليج وليبيا ويحمل خاصة المهاجرين من الدول العربية الآسيوية كما يحمل قلة من مصر وقليلا من السودان أما ليبيا فتتلقى المهاجرين من مختلف البلاد العربية آسيوية وافريقية على تفاوت في النسب • وأما المغرب العربي فان تيار الهجرة فيه يتجه شمالا الى فرنسة أصلا لروابط اللغة والثقافة والسياسة ولأن فريقاً من أهله سبقت هجرتهم اليها • وتتجه فروع من تيارات الهجرة الى المملكة المتحدة والبلاد الأوربية الأخرى والى كندا واسترالية وأمريكة •



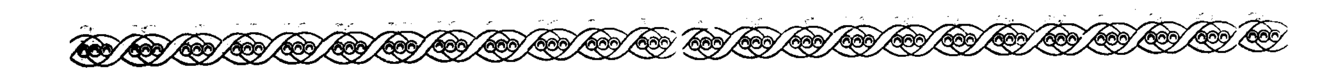
وقد نشأت تيارات للهجرة جديدة من خارج البلاد العربية الى البلاد العربية النفطية ولا سيما من الهند والباكستان وسيريلانكا والفليبين • ومغبات هذه الهجرة الأجنبية موضع للتأمل والمناقشة •

الهجرة الداخلية في البلد العربي هو تغير في محل الاقامة بين قسم اداري وآخر لفترة زمنية تستغرق سنة أو أكثر كما سلفت الاشارة •

وتصنف أربعة أصناف : ريفية ريفية ، وريفية مدنية ، ومدنية ريفية، ومدنية مدنية • وهنا على الرغم من بساطة التصنيف يلزم تعريف المركز الريفي والمركز المدني الذي يدعى أيضاً بالحضر • والتفريق بينهما يختلف باختلاف الدول وتفاوت الاعتبارات •

أهم هذه الأصناف الهجرة الى المدن أو الحضر • انها تتبع درجة التقدم والثقافة وتبدل نمط المعيشة وتوافر فرص العمل وسبل الرقي في السلم الاجتماعية • يؤلف هذا الصنف غالبية تيار الهجرة الداخلية بحيث لا ينصب البحث الا عليه • وهو الذي أدى الى اتساع العمران ونشوء المدن الكبيرة الضخمة في العصر الحاضر • ومن الطبيعي أن يكون لها مشكلات تتفاوت بتفاوت المجتمعات وبتفاوت الميادين الاقتصادية والتنظيمية والصحية وأمثالها • ويرجع هذا التفاوت الى نظام المجتمع نفسه ومدى ايلاء المسؤولين فيه الانتباه اللازم لها للاستفادة من عناصرها الايجابية وتحامي عناصرها السلبية • المدن مراكز العلم • فيها من بيوته ومعاهده ما ليس في الريف. فيقبل أبناء القرى لينهلوا من معينها • ولكنهم بعد أن يتخرجوا يكونون قد استساغوا الحياة الحضرية فيستحبون الاقامة في المدن بسبب ذلك أو بحكم ممارستهم أعمالهم واختصاصهم أو بسبب وظائفهم التي قد يُسمَّونَ لها • وقلّ أن يعودوا الى قراهم حيث لا يجدون فيها مزايا المدن من جد وكسب ، ولهو أحياناً ،وتقدم في المناصب ومشاركة عميقة في الحياة الثقافية والاجتماعية • ومن المعلوم أن تنوع الاختصاص وعلو المناصب مكانهما في المدن ولا سيما في العواصم •

ثم ان المجتمع الريفي ذو تقاليد وعادات وروح قَبلية أو عشائرية أو طائفية تضغط على أفراده وتضيق مجال حريتهم وتسمح بالتدخل في شؤونهم الخاصة • وهذا كله يدفع ببعضهم الى الهرب من هذا الضغط •



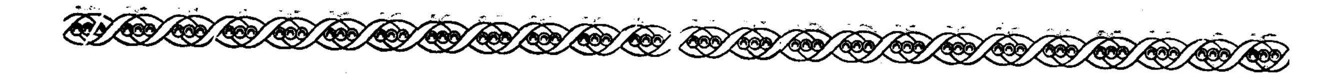
ولا يخفى توافر فرص العمل في المناطق الصناعية وتيسر مختلف السلع في المدن • وقد أدى تنظيم الغلات الزراعية الى انتقال مراكز النشاط الاقتصادي الزراعي من القرى الى المدن كالتهيئة النهائية لمشتقات الألبان وتحضير اللحوم وحفظها ومَقْرِ الخضار في المعلبات (الكنسروة) واتساع التجارة والأسواق وهكذا تتكاثر سبل الموارد الاقتصادية في المدن •

كانت القرية ذات اكتفاء اقتصادي ذاتي ولكن هذا الاكتفاء طفق يضعف بل يتلاشى • وأخذت القرية تعتمد في حاجاتها التموينية والاستهلاكية في الغالب على المدينة • واذا بقيت طائفة من القرى في البلاد العربية تحتفظ بسماتها التقليدية فان تلك السمات تتجه نحو الزوال •

واعتاد القسم الأكبر من الريفيين الذين يفدون الى المدينة للعمل وللكسب اتخاذ أطراف المدينة مواقع لبناء مساكنهم وأكواخهم وكلها تبنى أحياناً دون رقابة ولا تخطيط منظم فهي سيئة البناء مكتظة بأهليها سريعة النمو والامتداد تنمو كما تنمو الفطور وكأنها قرى معلقة بأطراف المدينة وكأنها جميعاً تعمل من الوجهة الاجتماعية على ترييف الحضر بدلا من تحضير الريف وذلك بسبب نقص الخدمات الاجتماعية الضرورية • وما زال تيار الهجرة الداخلية في أغلب البلاد يجري عشوائياً • ومن المناسب الاشراف على هذه الاندفاعات السكانية ووقايتها من الآثار السلبية والاستفادة منها في استغلال الأراضي واستثمارها وتنظيم قوة العمل وتوفير الموارد الاقتصادية واسباغ الصحة والتقدم على المجتمع •

ولقد أصبح الارتباط بين الريف والحضر في جميع البلدان شديداً كما أصبح الارتباط بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية على درجة لا يمكن اغفالها (تبعية البلاد النامية للبلدان المتقدمة في الاستهلاك والصناعة والعلم ، وتبعية البلاد المتقدمة النسبية للبلاد النامية في بيع سلعها واستيراد الطاقة والمواد الأولية) •

وهكذا يجدر العمل على تقليل التفاوت في الدخول المالية وفي مجالات التقدم الاجتماعي بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية وبالتالي تقليل الفروق في الدخول وفي مجالات التقدم الاجتماعي ما أمكن بين الريف والحضر • وأيا كان الأمر فان الانسان أهم عنصر في جميع الاعتبارات ولا بد في كل تدبير سليم من الحفاظ على



حريته وكرامته ومن السعي نحو تقدمه وحمايته من البـؤس والشقـاء وآفات الأمراض وعوادي الطبيعة ٠

هجـرة العقـول :

ان البلاد المتقدمة بسبب تقدمهـا المطرد السريع بحاجة ماسـة وملحـة الى العلماء والمتخصصين ولا تكاد تسد الجامعات والمعاهد العلمية تلك الحاجة المتزايدة، كما أن نفقات اعدادهم وتخصصهم كبيرة باهظة ثم ان عوامل التنافس بين الدول الصناعية تقتضي الاعتماد على الكفايات العلمية الكبيرة ، ولهذا طفقت تلك الدول تجتذب تلك الكفايات بالمغريات المادية والمعنوية ، ولا سيما من بلدان العالم الثالث ومن بينها بعض أقطار الوطن العربي ٠

ان الحاجة التي نوهنا بها الى العلماء قـد اشتدت في السنـين الأخـيرة بسبب مقتضيات النمو والانتاج ، كذلك نجد الربح الكبير الذي أفادته الـدول المتقدمة في المال وفي الوقت من هجرة العقول اليهاقد عزز ذلك التيار ودعمه ٠ وكل زيادة في جانب يقابلها خسران في الجانب الآخر ٠ فقد ألمت الخسارة بالبلاد التي تنطلق منها عناصر ذلك التيار ولا سيما أن تلك العناصر في الغالب ناشئـة فتيـة تومض بالوعود ٠ فكان فقدها في بلادها الأصلية « ضِغثاً على ابَّالة » كمـا يقـول المثل العربي القديم ٠ وليس ما يمنع تلك الدول المتقدمة ازاء الربـح مـن رأس المال البشري هـذا من أن تضـع لامتصاصـه خططاً سرية وعلنية باطنة وظاهرة ٠

هذا التيار جارٍ بين البلاد المتقدمة بحسب الاغراء المادي والعلمي والظروف الملابسة ٠ ولكن نسبة هذه الهجرة من البلاد النامية ولا سيما من الوطن العربي أعلى وأدعى للخسران ٠

والذي يسترعي الانتباه ازدياد الاختصاصيين الذين يهاجـرون من البـلاد العربية الى أوربة والولايات المتحدة ٠ وهذه الزيادة ناشئة عن قوتي نبـذ وجذب كما هو شأن تيارات الهجرة عامة. قوة النبذ في البلد الأصلي ضآلة الرواتب والأجور واضطراب الأحـوال الاجتماعية وقلـة المختبـرات التي يستطيـع المتعلم الناشىء فيها أن يمارس اختصاصه ودرايته ، كذلك ضآلة فرص العمل العلمي وانخفاض المردود في البحث وعدم وجود ميزانية تدعم الباحث وتزوده بالعناصر الضرورية



في بحثه وانتاجه ، على حين يقابل كل ما سلف في البلاد المتقدمة مزيد من المكافآت المالية والمعنوية وأعداد هائلة من الأجهزة والمراجع ووسائل البحث والنشر والتقدير وسهولة تبادل المكاسب العلمية وتتامّ الاختصاصات المتنوعة بحيث تتعاون أسباب المعرفة المتفاوتة على تقدم سير العلم وتضامن جوانب الرقي • وقد يتفوق أبناء البلاد العربية في مواطن هجرتهم على أبنائها في مختلف المجالات الفكرية والعلمية والاقتصادية •

هذه الهجرة التي تجتاح البلاد الأصلية تستنزف خيراتها وتطيح بمواردها وتعوق تقدمها • ان العالم الذي أعدته بلاده قد كلفها نفقات باهظة عليه أن يعوضها بعد تكونه العلمي بانتاجه وباسهامه في تقدمها ، وذلك انما يتم في سني حياته المنتجة ، فكأن هجرته الى البلاد الغنية هدية من فقير معدم جمع بُلَغَ معيشته وقدمها للموسر الثري ليزيد ثراءه ويساره ، ولا سيما أن تلك السنين المنتجة سوف تمضي في البلد المقصود •

ان أكثر من نصف المختصين في سورية ولبنان والأردن مثلاً وكذلك الأمر في مصر والمغرب يغادرون بلادهم الى بلد آخر أكثر تقدماً • واذا علمنا أن البلاد في أمس الحاجة الى هؤلاء النازحين ، وقد خسرت عليهم مبالغ طائلة في تنشئتهم العامة واعدادهم الاختصاصي ، تبينت لنا العواقب الغاشمة لهذه الهجرة والمواقف العامة لأولئك المهاجرين • ولا بد من اتخاذ التدابير التشريعية والاجتماعية والمالية لاسترداد تلك الكفايات والامساك بها وإسباغ التكريم لها والعمل على تهيئة المجال المناسب لانتاجها المثمر • وقد كان للعلم في ماضي البلاد العربية أعلى مكانة وأجل شأن وأسمى غاية • ومثل هذا الغبن واقع في بقية البلاد العربية • وهو من العقبات العاتية التي تعترض في سبيل تقدمها السريع. ولا شك أن الخسارة من هذا النوع تستدعي خسارات تالية متفاقمة • ان العالم في الحقيقة بمثابة مدرسة يُخَرِّج حوله العلماء ويدربهم ، ولذلك خسارته ليست خسارة فرد واحد ولا ضياع مبلغ من المال وانما هي فقدان أفراد متعددين ومبالغ طائلة وامكانات معنوية كثيرة. ولذلك ينبغي اعطاء العالم مكانة طليعية في تنمية المجتمع ، وتقديم أفضل الأحوال المناسبة له ، وعونه على القيام بأعباء رسالته الفكرية وتشجيع انتاجه ونشاطه على صعيد وطنه وفي المجال العالمي إن أمكن •



قضايا ومشكلات سكانية

يهمنا هنا في الدراسات السكانية للدول العربية أن نلقي بعض الأضواء على طائفة من تلك العناصر التي سلف شرحها فنتناول السياسة السكانية التي تتعلق بتنظيم الأسرة وتوزع السكان وبصحتهم والأحوال التعليمية لديهم وبجانب من الأمور الاقتصادية ·

تبحث السياسة السكانية المبادىء الظاهرة والباطنة التي تعتمدها السلطات العامة في ميادين القضايا الديمغرافية وجملة التدابير التي تتخذها تلك السلطات في سبيل تحقيق تلك المبادىء ·

١ ـ يدخل تنظيم الأسرة في هذه السياسة ، اذ تنظر الدولة في أمر ازدياد السكان وثبوت عددهم ونقصانه ، فاذا كان اتجاه هذه السياسة نحو نمو السكان قيل لها نصيرة زيادة السكان ، واذا كان اتجاهها نحو ضبط النسل وعدم زيادتهم قيل لها سياسة ضابطة الزيادة أو سياسية ملْتُسيَّة نسبة الى القس الانكليزي ملتس(١١) ·

ومن التدابير التي تحفز على زيادة المواليد أو تخفيف تناقصهم كما هو حاصل في فرنسة مثلاً الاعانات وهي اعطاء الأسرة مبلغاً من المال يتجدد دورياً ، وكذلك المنح وهي أيضاً مبلغ من المال يعطاه العروسان مرة واحدة أو أكثر من مرة عند الزواج · ومن المنح منحة الأمومة حين تحمل الزوجة ومنحة الطفل حين يولد · ومن الاعانات تخفيف الضرائب عن رب الاسرة ·

ومن التدابير التي رسمت لخفض عدد المواليد في البلاد النامية برامج السكان التي تشتمل على تعليم تنظيم الأسرة وعلى خدمة تنظيم الأسرة ، وهما يتمّان اما مستقلين واما بالاشتراك مع برامج الصحة ومع برامج الرعاية الاجتماعية ولا سيما رعاية الأمومة وصحة الأطفال ·

وفي تنظيم الأسرة يَبْرُز ما يدعى الوالدية المسؤولة أو الوالدية المنظمة ، وهي أن يكون للأبوين موقف واعٍ تجاه نسلهما · وقد يختلف عدد الأولاد الذي يتوقان الى مجيئه وينشد انه عن عدد الأولاد الأمثل الذي يرتئيانه لمجتمعهما · فقد يرغب الزوجان في عدد من الأبناء لأنفسهما وحسب أحوالهما ، وهذا العدد



المنشود أو المرغوب فيه شخصياً غير ذلك العدد الأمثل للمجتمع عندهما • وقد يتطابق العددان • ذلك أن الرغبة في الذرية لا تتحقق دائماً بارادة الزوجين • فقد يكون بين الأزواج من لا ولد لهما أو من لهما ولد أو ولدان دون العدد المنشود على حين تكثر ذرية بعض الآباء والأمهات حتى يضيقوا بها ذرعا • فلأمثال هؤلاء أُعِدَّت جمعيات تنظيم الأسرة رفقاً بهم •

وكلمة تنظيم الأسرة كلمة لائقة تشير الى اتخاذ الوسائل الواقية من الحمل من أجل اقامة فترات زمنية مناسبة بين مجيء الأولاد • وهي كلمة حلت محل لفظ ضبط النسل الذي يقابل في اللغة الانكليزية لفظ Birth Control

هذا ولا توجد في الوقت الحاضر سياسة سكانية واحدة واعية تعم البلاد العربية في قضية نمو السكان وازدياد عددهم أو الحد من هذا الازدياد • وانما هنالك اتجاهات متباينة في هذا الصدد أكثرها مبني على النظر المباشر الى الواقع دون النظر الى المدى البعيد • ويمكن تصنيف تلك الاتجاهات في خمس زمر •

الزمرة الأولى ذات سياسة مُعْلَنَة تسعى نحو خفض خصب الزوجات والحد من النمو السكاني وتعتمد تنظيم الأسرة وتدعو له • وتضم هذه الزمرة مصر وتونس •

الزمرة الثانية لا تعلن سياستها ولكنها ترحب ببرامج تنظيم الأسرة وتهتم برعاية الأمومة والطفولة وتشمل لبنان والمغرب والجزائر •

الزمرة الثالثة لاترى ضرورة لتنظيم الأسرة ولكنها تسمح به • ومن هذه الزمرة سورية والأردن •

الزمرة الرابعة تشجع النمو السكاني وهي زمرة البلدان النفطية الغنية وهي السعودية والكويت والبحرين وقطر والامارات العربية المتحدة وعُمان وليبيا والعراق ، وزيادة على رغبتها في النمو تتقبل هجرة الأيدي العاملة اليها وهجرة الكفايات العلمية والتقنية ولكنها تشرف على الهجرة وتنظمها تنظيماً يوائم حاجاتها ومطالبها • ومن المناسب الاشارة الى الاتفاقية المعقودة بين العراق ومصر سابقاً لتزويد العراق بالفلاحين المصريين •

الزمرة الخامسة بلدان فقيرة تضم موريتانيا والصومال وجيبوتي والسودان واليمن العربية واليمن الديمقراطية • وليس لديها سياسة سكانية • وهي بحاجة

الى النمو الديمغرافي . وقد يوجد بعض خدمات لتنظيم الأسرة لدى عيادات وزارات الصحة في أغلب هذه البلدان . هذا وان اليمن العربية سائرة في اتجاهها الديمغرافي نحو الزمرة الرابعة بسبب آبار النفط والغاز الغزيرين التي كشفت منذ سنين قليلة . كذلك السودان اذاانتظمت أمورها وتحققت وحدتها وسلكت سبيل التنمية الزراعية الناجعة تستطيع أن تستوعب عدداً أكبر من سكانها الحاليين .

ان صندوق الأنشطة السكانية ومنظمة الصحة العالمية والاتحاد العالمي لتنظيم الوالدية وأمثال هذه الهيئات الدولية تدعو كلها الى تنظيم الأسرة . وحبذا لو عمدت هذه الهيئات في دعايتها الشديدة لهذا التنظيم الى العمل على تقليل الوفيات في البلاد العربية ولا سيما وفيات الرضع ووفيات الأطفال الصغار وعلى الارشاد الصحي وعلى مكافحة الأمية ومكافحة الفقر وكذلك على رعاية المعوقين صغاراً وكباراً . فان هذه الأعمال الانسانية عندئذ أحق بالثناء وأدعى الى الارتياح وأجدر بالتنويه وأدل على الاخلاص في القول والعمل .

ولا شك أن هذه الأمور الانسانية اذا توطدت واستطاع الانسان العربي أن يعيش في ظل السلام العادل وأن يرتفع بمستوى معيشته فيصل الى حياة كريمة لائقة وشاركته المرأة في مجال الحياة الاجتماعية وفي ميدان النشاط الفكري والعلمي فان معدل المواليد سوف ينخفض انخفاضاً طبيعياً من دون حاجة الى ابتسار الشؤون واعتساف العادات والحد المباشر للذرية فان الأولاد في الوقت الحاضر يكادون يمثلون الآمال الباقية للآباء والأمهات في الوطن العربي .

٢ ــ مشكلات الهجرة : أهم هذه المشكلات هي تيار الهجرة الداخلية الى المدن ولا سيما العواصم . وهي مشكلة عامة سبق شرحها وهي تحشد القادمين في ضواحي المدن فيتراكمون تراكماً سريعاًيتجاوز توقعات الهيئات البلدية المسؤولة ويقيمون في منازل مكتظة تشبه الأكواخ في بنائها العشوائي ، لا تخضع للتصميم الصحي ولا تتبع التخطيط المدني العام ،وربما لا تتوافر لدى السلطات المسؤولة الميزانيات المالية اللازمة لتسكين أولئك المهاجرين وتَعَهُّدهم بجميع الخدمات التموينية والثقافية والصحية الا بمشقة بالغة . ولا شك أن هذه الأمور جديرة بالنظر والاعتبار وقمينة بحساب التوقعات المقبلة ورصد الأموال اللازمة ، زيادةً

على الاهتمام بالهجرات القسرية التي تُحدثها بعض الحروب أو الغزو الأجنبي أو اجتياح أراضي السكان الأصليين • هذا مع العلم أن قسماً كبيراً من الميزانيات العامة تذهب لدى بعض البلاد العربية في حاجات الدفاع عن النفس وعن الوطن بسبب الأخطار المتلاحمة •

ولا ننس الاشارة في ضمن مشكلات الهجرة الى ما يدعى بهجرة العقول التي سبق التنديد بها •

٣ ـ مقاييس الصحة : سلف أن أوردنا في جدول الاحصاءات الحيوية معدلات الوفيات السنوية ونسب وفيات الرضع والآجال المتوقعة في البلاد العربية • هذه النسب والمعدلات متجهة نحو النقصان كما أن الآجال المتوقعة صائرة الى الارتفاع وبالتالي الى تطاول الأعمار المتاحة للأفراد ، وذلك بسبب التقدم الصحي في هذه البلاد ولا سيما النفطية ، ومع ذلك فالحاجة ماسة الى زيادة التقدم واللحاق بالبلاد التي هي أكثر تقدماً ، ونحن نعطي هنا أمثلة في هذا المجال لدى بعض البلدان المتقدمة صناعياً :

	معدل المواليد	معدل الوفيات ١٩٨٠ـ١٩٨٥	معدل النمو الطبيعي	الأجل المتوقع ١٩٨٦
الاتحاد السوفييتي	١ر١٩	٧ر١٠	٤ر٨	١ر٦٥
الأراضي المنخفضة (هولندا)	٢ر١٢	٢ر٨	٤	١ر٧٣
فرنسة	٥ر١٤	٢ر١١	٣ر٣	٨ر٧١
المملكة المتحدة	١٣	٧ر١١	٣ر١	٤ر٧٢ (١٩٨٧)
الولايات المتحدة	٧ر١٥	٦ر٨	١ر٧	٤ر٧١

وذلك لمقارنتها بأمثالها في الوطن الوطن العربي (جدول الاحصاءات الحيوية).

ان جبلة الانسان العربي قوية ونقية وسليمة ولم تتأثر في الماضي بالمسكرات والمخدرات ، وان وراء هذا الانسان دينه الحنيف يَتَعَهَّده بالطهارة والنظافة جسداً وروحاً وسلوكاً ولباساً • وأكثر الثغرات في صحته وفي حياته الخلقية والاجتماعية نشأت في الظروف التاريخية السالفة ومن آثار الاستعمار في بعض أجزائه • ومع ذلك فثمة مشكلات صحية في الوطن العربي نشير الى بعضها :



آ ـ نقص الغذاء العام لقلة توافره. وتفيد المعلومات أن غالبية البلاد تحظى بنصيب يزيد على ألفي حريرة أو سُعْرفي اليوم للفرد الواحد ولكن يقل هذا المتوسط في موريتانيا والصومال وجيبوتي والسودان . ولا شك أن هذه المشكلة ناشبة في الطبقات الفقيرة .والنقص يقع في مادة البروتين وفي الفيتامينات . ولا ننسى أن الأحوال الغذائية في معسكرات اللاجئين الفلسطينيين ولا سيما أطفالهم محزنة ومخزية . فأكثر هؤلاء الأطفال مصابون بالسَغَل (نقص التغذية وسوئها) .وينشأ الكساح بينهم من نقص فيتامين د .

ب ـ ومن الملاحظ أن البيئة في البلاد العربية مع جودتها الطبيعية قد تغدو سيئة في بعض الأرياف وفي أحياء المدن الفقيرة المزدحمة بالسكان ولا سيما حول أخصاص المهاجرين الريفيين والعمال ، وذلك لقلة توافر المياه الصالحة للشرب ولسوء تصريف الفضلات والأوساخ ، ولقلة الرقابة الصحية على المواد الغذائية ، ولانتشار القوارض والحشرات الناقلة للأمراض .

ج ـ وثمة أمراض مستوطنة في بعض البلدان العربية كالتيفية (التيفوئيد) والزحار (الدوسنطاريا) والأمراض المعوية وفقر الدم وأمراض الأطفال كالحصبة والخُناق (الدفتريا) والسعال الديكي والاسهال والرمد والحَثَر (تراخوما) وبعض الأمراض الطفيلية كداء البلهرسيات في مصر . وهذا المرض قد بدأ ينتشر في مناطق جديدة بالأردن والعراق والسعودية وسورية وكداء الصفر (أسكاريازس) وداء الملقوات (انكلستوميازس) وأمثالها .

د ـ هذا وكأن هذه الأمراض لاتكفي حتى تسربت الى بعض البلاد العربية من الغرب آفات حديثة كمرض الايدز أو فقد المناعة المكتسب ، وقد ظهر هذا الوباء بأمريكة وأوروبة وانتشر في افريقية ويقدر أن أكثر من خمسة ملايين يحملون حمة (فيروس) هذا الداء في العالم . وهو ينتقل بالوصال الجنسي وبنقل دم ملوث أو استعمال ابرة ملوثة وكذلك من الأم المصابة الى جنينها ولم يثبت انتقاله بالمصافحة والغذاء والهواء.

هـ ـ ان وفيات الرضع في البلاد العربية ما زالت مرتفعة بل أيضاً وفيات الأطفال الصغار في السنة الثانية والثالثة وأحياناً الرابعة ولا ريب في ان ذلك راجع الى قلة العناية بهؤلاء الأطفال ولا سيما البنات والى سوء التغذية والى تفاوت

درجات الحـــرارة بين الليل والنهـــار لأن أكثر أمراض الرضع والأطفال هضمية وتنفسية ٠

٤ ـ الحالة التعليمية ـ يصنف الناس حسب هذه الحالة ٠ فمن كان يعـــرف القراءة والكتابة فهو متعلم أو غير أمي ٠ ومن لم يعرفهما فهو أمي ٠

وتعتمد احصاءات التحصيل العلمي على مدة الدراسة أو سنوات التحصيـــل الكاملة أو علي الشهادات المحصّلة . وهذا كله متعلق بنظام التعليم ٠

ودرجات نظام التعليم هـــذا ثلاث :ابتدائي وثانوي وعال ٠

وثمة معاهد تقنية متفاوتة الأنواع والدرجات ٠

على أن ثمة تعبيراً في البلاد المتقدمة وهو الأمية الوظيفية ٠ ويطلق على الذين قضوا بعض السنوات في مدارس ابتدائية دون أن يكتسبوا القدرة على القـــراءة والكتابة في مجال أعمالهم الوظيفية ٠ فهم كالأميين في هذا الاعتبار ٠

ولا بد من اعتبار السن في الأمية ٠ وأكثر ما تتخذ سن الخامسة عشرة فمـــا فوق لبيان مدى تفشي الأمية ٠

هذا وصروف البـــلاد العربية التاريخية بعد طول حضارتها المتألقـــة جعلت الأمية تســـري وتستفحل في ربوعهـــا ٠ والعمل متواصل في مكافحة هذه الآفـــة المعـــوّقـــة ٠

وثمة جمعيات أهلية وهيئات رسمية تعمل في هذا الميدان ٠ ويلزم أن يُنتبه خاصة الى الأطفـــال الذين هم في ســـن التعليم الابتدائي دون أن يكونوا مسجلين في المـــدارس ٠

٥ ـ القـــوة البشرية وقوة العمـــل ومعدل الاعالة ٠ يختلف مدى العمر الذي يعمل فيه المرء من مجتمع الى آخر ، متى يبدأ المرء بالعمل ومتى يتقاعد أو يحال الى المعاش ؟ تتأخر هـــذه السن عـــادة في بدايتها وتكبر نسبياً في نهايتها وذلك في البلاد المتقدمة عنها في البـــلاد النامية ٠ تعتبر سن العمـــل في أوربة والولايـــات المتحدة ممتـــدة من الخامسة عشـــرة الى الرابعـــــة والســـتين للـــذكـــور والـــى التاسعة والخمسين للاناث ٠ وقد تتأخر عن ذلك ٠ وتبكر هـــذه السن في البـــلاد النامية ، ومنها العربية ٠ يعتبر بعض هذه البلاد بدايتهـــا في الثانية عشـــرة بل تبدأ في بعضها بالعاشرة ٠ وتختلف نهايتها لدى الموظفين الذين يتقاعدون في ســـن

التاسعة والخمسين ولدى العاملين في مختلف الميادين الأخرى حيث تنتهي بالعجز عن العمل ·

وفي علم الاقتصاد مصطلحات تتعلق بالسكان نجملها هنا للفائدة · فالقوة البشرية عادة تشمل فئات الأعمار من سن الخامسة عشر الى سن الرابعة والستين · أما من هم خارج القوة البشرية فهم الذين أعمارهم أقل من خمس عشرة سنة والمرضى المزمنون والعجزة والذين هم في سن الخامسة والستين فما فوقها · وهنالك قوة العمل وهي جزء من القوة البشرية وتشمل المشتغلين أولي النشاط الاقتصادي والمتعطلين · أما من هم خارج قوة العمل فهم الطلاب والمتفرغات للأعمال المنزلية من ربات البيوت ·

هذا ويحسب معدل الاعالة على الشكل الآتي :

$$\text{معدل الاعالة} = \frac{\text{من هم دون الخامسة عشرة + الذين هم في الخامسة والستين فما فوقها}}{\text{عدد السكان بين الخامسة عشرة والى الرابعة والستين}} \times ١٠٠$$

هذا المعدل متعلق بتركيب السكان العُمري ولا يكشف عن مدى النشاط الاقتصادي · ولهذا يحسب معدل هذا النشاط الأولي ، وهو يمثل عدد الأشخاص ذوي النشاط الاقتصادي منسوباً الى عدد السكان كلهم · ومن الطبيعي أن يتأثر بتركيب السكان العمري أيضاً · ويحسب كذلك معدل النشاط الاقتصادي العام · وهو عدد الأشخاص ذوي النشاط منسوباً الى عدد السكان في سن العمل ، كما يحسب على الوجهين السابقين معدل النشاط للذكور ومعدل النشاطات للاناث · والتفريق ضروري لأن الأول أعلى وأثبت من الثاني اذ يكون دخول الاناث في النشاط الاقتصادي ضئيلا وهامشياً ومتقطعاً ولا سيما في البلاد العربية وخاصة مدنها · ولذلك كانت مقايسة النشاط للذكور بين المجتمعات أصلح وأرشد · ومع ذلك فلا يجوز الاقتصار عليه لأن نشاط الاناث في بعض المجتمعات قوي · ويحسب أيضاً معدل النشاط العمري لأحد الجنسين فينسب عدد العاملين في فئة الأعمار الى عدد أفراد الفئة · وجميع هذه المعدلات تؤخذ عادة في المائة ·

والسبب في اعتماد النشاط الاقتصادي ومعدلاته هو أن العمل جوهر الحياة الانسانية وينبوع الثروة والتقدم وأساس الحضارة · ومن المهم في هذا الميدان

السعي للقضاء على البطالة في المجتمع أي التعطل عن العمل • وقد نجد في المجتمعات العربية نسبة ليست بالقليلة من المتعطلين في مختلف المجالات وذلك بسبب ضيق الموارد المالية وقلة الوظائف التي ينبغي أن تتسع لتستوعب جميع من هم في سن العمل •

هذا ويصنف السكان العاملون حسب قطاع النشاط الاقتصادي في ثلاثة قطاعات :

القطاع الأول : يشمل الزراعة والطرد وصيد الأسماك والمناجم •

القطاع الثاني : يضم الصناعات التي تحول المواد الأولى سلعاً مفيدة أي الصناعات التحويلية •

القطاع الثالث : هو انتاج الخدمات •

وفي البلاد النامية قد يفرد صنف خاص هو القطاع التقليدي يحتوي الحرف التقليدية المتوارثة •

هذا وقد أعدت منظمة الأمم المتحدة تصنيفاً دورياً بجميع أنواع النشاط الاقتصادي يحسن الرجوع اليه عند الموازنة بين المجتمعات • كما تصدر الجامعة العربية مع اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا منشورات تعرض فيما تعرض معدلات النشاط الاقتصادي في البلاد العربية •

هذا ما سنح لنا عرضه في بحث الميراث الديمغرافي العربي • ولم يكن لنا بدّ فيه من الاستطراد الى شرح بعض التصورات في علم السكان وجلاء بعض مصطلحاته الحديثة ومن الاشارة في الحين بعد الحين الى القضايا والمشكلات والعقبات السكانية الطارئة بالقياس الى التقدم الاجتماعي • لقد تطاول البحث ولكنا نرجو في هذه الافاضة توكيد بعض القضايا وانارتها انارة علمية وانسانية •

□ الحواشي :

١ ـ ضبط الاحوال المدنية يقابل في الفرنسية **Statistique de l'état civil** والاحصاء الحيوي يقابل في الانكليزية **Vital Statistics** • واللفظان رائجان في البلاد العربية بحسب التاثير السابق لكل من الثقافتين الفرنسية والانكليزية وهما بمعنى واحد •

٢ ـ مساحة الاتحاد السوفياتي تعادل سدس مساحة المعمورة فهو أوسع من البلاد العربية ولكنه مؤلف من قوميات عدة •

٣ ـ أوربة دون أراضي الاتحاد السوفياتي •

٤ ـ الأصل في اللغة ان المدني نسبة الى يثرب مدينة الرسول(ص) والمديني نسبة الى المدينة • ولكن العرب منذ القديم استعملوا لفظ المدني بمعنى المديني فقالوا مثلا الانسان مدني بالطبع اي اجتماعي عائش في تجمع كالمدينة • ويستعمل في هذا المعنى ايضا لفظ الحضري •

٥ ـ أكلا العمر : اقصاه ٠
٦ ـ نستعمل هنا لفظ المواليد بدلا من الولادة لان الولادة قدتكون توامية ٠
٧ ـ السنة التقويمية المتداولة في علم السكان هـي من اول كانون الثاني (يناير) الى ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ٠
٨ ـ المؤلف محمد بن حسين بن علي الطواري الحنفي ٠ المطبعة العلمية تصوير ص ٥٧٤ ٠
٩ ـ شاع لفظ الخصوبة في الاحصاء ٠ ولكن هذا المصدر ليس واردا في المعجمات العربيـة ٠ والمراد بالخصوبة والخصب الالقـاح ٠
١٠ ـ نبحث العلاقة الرياضية البسيطة بين المعدل والنسبـة هذين المذكورين من أجل جيل مسمى فلا تدخل فيه المواليد ٠

$$\text{د} = \frac{\text{و}}{\text{ع}}$$

باعتباره « د » المعدل السنوي بالألف و« و » عدد الوفيـات في السـنة ، و « ع » عدد السـكان في منتصف السـنة ٠

$$\text{ن} = \frac{\text{و}}{\text{ع}'}$$

باعتبار « ن » هذه النسبة السنويـة بالألف و « و » عدد الوفيات في السنة و « ع َ » عـدد السكان في أول السنة ٠
نغفل المواليد لأننا نعتبر جيلا مسمى ونفرض أن الوفيات موزعة بين الجيل بانتظام في غضون السنة ، فيجوز أن نعتبر

$$\text{ع}' = \text{ع} + \frac{\text{و}}{٢}$$

بحيث يكون

$$\text{ن} = \frac{\text{و}}{\text{ع} + \frac{\text{و}}{٢}}$$

وعندئذ يتهيأ بسهولة حساب ن بافادة د وحساب د بافادة ن :

$$\text{ن} = \frac{٢\,\text{د}}{٢ + \text{د}} \quad ، \quad \text{د} = \frac{٢\,\text{ن}}{٢ - \text{ن}}$$

١١ ـ يرى ان الناس يزيدون كالمتواليـة الهندسية والمـوادالغذائية تزيد كالمتوالية الحسابية ٠ والفرق كبير بين الزيادتين فينصح للمرء تاجيل زواجه حتى يضمن اعالة ذريته ٠ أما أتباعه فيجيزون ضبط النسل بعد الزواج ٠

☐ المصـــادر :

نذكر المصادر الآتية زيادة على ماسبقت الاشارة اليه في حواشي المقال:

ـ في علـم السكـان :
د. عبد الكريم اليافي ـ مطبعة جامعة دمشق ـ ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م٠

ـ المجتمع العربي ومقاييس السكان :
د. عبد الكريم اليافي ـ معهد الدراسات العربية العالية ـ القاهرة ١٩٦٣ ٠

ـ فصول في المجتمع والنفس :
د. عبد الكريم اليافي ـ دمشق ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م ٠

ـ الفصل الثاني من كتاب « المجتمع العربي » :
د. عبد الكريم اليافي ـ جامعة الامارات العربية ـ ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م ٠

ـ المعجم الديمغرافي متعدد اللغات « السفر العربي » :
الطبعة الثانية د. عبد الكريم اليافي ـ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ـ بغداد ٠